Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 140

العلوم الإنسانية العدد 14 . صيف 2007

The Aesthetics of Colour in Abu-Tammam's Poetry

Dr. Amal Nusair

Abstract

This study attempts to analyse the aesthetics of colour in poetic discourse using the Abbasid poet, Abi Tammam's an example of this analysis. I have carried out a textual study of Abi Tammam's poetry concluding that the most significant colours used in his images are: white, black, red, green and yellow. The poet used these colours according to the context and added more significance to it by using personal and cultural experiences. Abi Tammam dealt with colours as an expressive strategy for emphasis. Through his constant usage of colours in his poetry, the poet was able to convey his special vision of life, Self and the Other to the recipient.

The world of colours in Abi Tammam's poetry is full of variation. His utilisation of colours is very suggestive, as it connects him with his emotional, social and cultural experiences. Therefore, the poet employed colours in order to clarify the text making it more imaginative and inspirational.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 141

جماليات اللون
في الخطاب الشعري عند أبي تمّام

د. أمل نصير *

الملخص

تتناول هذه الدراسة النصية جماليات اللون في الخطاب الشعري متخذة من الشاعر العباسي أبي تمّام نموذجاً، ولتحقيق ذلك عمدت إلى شعر الشاعر فدرسته دراسة نصية، وقد خلصت إلى أنّ الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر من أهم الألوان التي استخدمها في صوره الشعرية، وقد لوّنها حسب الموقف الذي جاءت فيه، وسكب عليها من نفسه وثقافته مما جعل صوره أكثر جمالاً وأكثر إيحاء، كما أنّ تعامل أبي تمّام مع الألوان بطاقاتها التعبيرية الكبيرة قد ساعد على تأكيد الشعرية في شعره، وقد استطاع الشاعر من خلال إضاءاته اللونية المنتشرة على فضاء نصه الشعري إيصال رؤيته الخاصة بالحياة والذات والآخر للمتلقي.

إنّ عالم الألوان عند أبي تمّام مفعم بالتنوع والتغيّر، كما هو مليء بالدلالات الإيحائية مع كل ما يصاحب هذا من الارتباط الوجداني والاجتماعي والثقافي بين الشاعر وعالم الألوان الخاص به، ومن ثَمَّ فقد وظّف الشاعر الألوان في إضاءة عتمة النص وظلمته، فجعله أكثر إشراقاً، وأكثر رقيّاً .

* أستاذة مشاركة - كلية الآداب - قسم اللغة العربية - جامعة اليرموك.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 142

والتصورات الإلهية أو الدينية المبنية على خرافات أو تاريخ أو قصص دينية أو كتب مقدّسة إلى لوحات واقعية، فظهر الرسم الطبيعي، وبدأ الرمز كوظيفة من وظائف الألوان ينبع من واقع العالم الحقيقي[٣].

لقد استخدمت الألوان في تراثنا العربي منذ الشعر الجاهلي، كما أنها استخدمت في القرآن الكريم بصورة ملحوظة. وفي مجال النقد العربي القديم، فقد تنبّه النقاد العرب للعلاقة بين الرسم والشعر، منهم الجاحظ الذي قال: «الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير»[٤]. وقد أشار ابن طباطبا إلى ذلك أيضاً بقوله: «الشاعر الحاذق كالنسّاج الحاذق الذي يفوّف وشيه بأحسن التفويف ويسديه وينيره، ولا يهلهل شيئاً منه، فيشينه، وكالنقاش الرقيق الذي يضع الأصباغ في أحسن تقاسيم نقشه، ويشبع كل صبغ منها حتى يتضاعف حسنه في العيان»[٥]. أما عبد القاهر الجرجاني، فقد أكدّ هذه العلاقة عندما قال: « وإنما سبيل هذه المعاني سبيل الأصباغ التي تعمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيّر والتدبّر في أنفس الأصباغ، وفي مواقعها ومقاديرها، وكيفية مزجه لها وترتيبه إياها إلى ما لم يتهدَ إليه صاحبه، فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب، وصورته أغرب، كذاك حال الشاعر»[٦].

وفي مجال الدراسات التطبيقية ظهر عدد منها يوضح جمالية اللون في الشعر العربي القديم، منها على سبيل المثال لا الحصر: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، وجماليات اللون عند زهير بن أبي سلمى.....[٧]

لقد أدرك العرب منذ القديم الاختلافات في اللون الواحد، فوضع الثعالبي والبيروني وابن سينا وابن منظور والكندي، وغيرهم، كلمات يعبّر كل منها عن كون خاص من اللون [٨].

أما في النقد الغربي، فقد ظهرت هناك دراسات كثيرة في هذا المجال توضح العلاقة بين الشعر والرسم، منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة مقارنة للشعر

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 143

-١-

قد يبدو اللون خاصاً بعالم الفنون عامّة، وبعالم الرسم خاصّة، لكنه أيضاً من عالم الشاعر الحي الذي لا يكاد ينفصل عنه أو عن عالم فنّه، فهو يشكّل جزءًا أساسياً من نسيج النص الشعري، ولغة خطاب الشاعر مع الذات أو الآخر، فالغوص في عالم الألوان في شعر شاعر ما هو إلا محاولة جادّة؛ لاستكشاف عالم الشاعر وزمانه من خلال زاوية رؤية هذا الشاعر، ومن ثَمَّ فإننا نحتاج إلى حواس البصر والبصيرة معاً؛ لاستجلاء هذه الرؤية عند شاعر فذ كأبي تمّام يفيض عالمه بالدلالات العميقة، والرموز البديعة، والصور المفعمة بالحياة والحيوية.

إننا حين نبحث في جماليات اللون في الخطاب الشعري عند شاعر ما نقصد الرؤية لا اللغة؛ لأنّ الخطاب الشعري أحد ممكنات اللغة، وليس اللغة نفسها، فالرؤية بنية أعمق تشفّ عنها اللغة، أو تكثّفها في مجال علائقي متبادل بين الدوال اللونية ومدلولاتها[١].

إنّ الغاية من هذه الدراسة البحث في جماليّة اللون من خلال السياق، وعلاقته بالموقف الذي استدعى حضوره، فهي دراسة نصيّة تسعى إلى البحث عن ملامح اللون في شعر أبي تمّام في محاولة؛ لإضاءة عتمة هذه الملامح وإنارتها، ومن ثمّ كشف رؤية الشاعر وتوضيحها خاصة عند ملاحظة حضور اللون في عالم أبي تمّام، وامتلائه بكثرة الألوان، والتنوّع الكبير في مجالات استخدامها، فهي جزء مهم من معجمه الشعري الضخم.

عموماً فإنّ للألوان تاريخاً عميقاً في الحضارة البشرية، فقد عرفت، ووظّفت في مجالات الحياة المختلفة، وقد تطوّرت تطوراً مطّرداً في مجال الفنون الجميلة؛ إذ رمزت في عصور مختلفة إلى تعابير دينية واجتماعية وتقليدية وميتافيزيقية وخرافية، كما رمزت في عصور الماضي القديم في مجال الرسم بشكل خاص إلى السحر أكثر من رمزها إلى الزينة [٢] ، وفيما بعد تحوّل فن الرسم من خدمة الآلهة إلى خدمة البشر، وتحوّلت المساحات على سطح اللوحة إلى أبنية أو مناظر طبيعية،

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 144

عن أي صفة جمالية لها. قال في وصفه لصاحبته :

أين التي كانتْ إذا شـــاءت جَرَى من مُقلَتي دمعٌ يُعصـــــفره دمُ ؟
بيضاءُ تسري في الظلام فيكتسي نُوراً وتَسْرُبُ في الضياء فَيُظلِمُ [١٢]

استغنى الشاعر هنا عن الموصوفة بصفتها، وهذا أبلغ في الوصف، وأكثر إيحاء، فهي بيضاء ناصعة البياض حتى أنها تضيء المكان المظلم إذا ما وجدت فيه، وأما إذا وجدت في مكان مضيء أصلاً، فإنّه يصبح مظلماً مقارنة بضيائها الذي هو أقوى من كل ضياء، ومن كانت على هذه الصفة من الجمال والصفاء والنقاء حُقّ للشاعر أن يُغرم بها كل هذا الغرام الذي جعله يذرف في سبيلها دموعاً مختلطة بالدم كناية عن وجده الشديد بها، وألمه من كل ما يمكن أن يعكّر صفو علاقته بها.

ولعلّ تكرار هذا اللون في صفة المرأة لافت للنظر، وربما يعود لخواصّه بما في ذلك دلالات الطهر والنقاء والصفاء والإشراق، خاصة عندما يكون المرء عاشقاً، فإنّه يرى كلّ هذه الصفات مجتمعة في محبوبته. وقد كان اللون الأبيض يرمز إلى الطهارة والعذرة في الحضارات القديمة، وقد لبسته الراهبات عند دخولهن الدير، والعرائس في الأعراس، وهو لباس الحوريات في الجنّة [١٣].

إنّ مقدرة الشاعر على حشد الألوان في البيتين السابقين؛ الأبيض والأسود، وهما لونان متنافران، ثم اللون الأحمر لون الدم، ولون النور الذي يجمع هو الآخر بين الأحمر والأصفر، - أبان عن مقدرة كبيرة عند الشاعر في خدمة الصورة الشعرية، فلو قال مثلاً: إنّ صاحبته بيضاء اللون واكتفى لما أعطى المعنى قيمة مهمّة، ولما قدّم المعنى الذي أراده بصورة فنية راقية. انظر إلى قوله يصف جمال المرأة البيضاء المشرقة المنيرة:

وظلالهنَّ المُشْرِقات بِخـــُـرَّدٍ بيضٍ كَوَاعبَ غامضَات الأكْعُـبِ
وأغَنَّ مِنْ دُعْجِ الظِّبَاءِ مُرَبَّبٍ بُدِّلْنَ مِنْهُ أغَنَّ غَيْرَ مُرَبَّـــــبِ
لله لَيْلَتُنَـــــا وكانَتْ لَيْلَـــــةً ذُخِرَتْ لَنا بَيْنَ اللِّوَى فَالشُّرْبُـبِ

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 145

والرسم الإيطالي في القرنين الخامس عشر والسابع عشر، لمؤرخ الفن السويسري (ولفن h. wolfflin) [٩].

إنّ المعجم اللوني لشاعر ما يعدّ من نسيج نصّه الشعري؛ لأنّ لديه قوّة خفية، وفاعلية بارزة تحاور عالم الشعور والإحساس، من هنا، فإنّه يعدّ إحدى الدوال التي تكشف لنا عن رؤية الشاعر، ودراسة اللون في شعر شاعر هي محاولة للكشف عن دور اللون في بناء الصورة الشعرية.

وأبو تمّام أحد شعراء العصر العباسي الذين اعتمدوا اللون في نسج صورهم الشعرية في مجالات الحياة المختلفة، وقد قام بتوظيفه توظيفاً عميقاً في كثير من المواضع من ديوانه منوّعاً في استخدامات اللون الواحد بصورة ملحوظة، ويمكن تصنيف الألوان التي تعامل معها أبو تمّام حسب سعة انتشارها في ديوانه على النحو الآتي:

_٢_

كان للون الأبيض الغلبة التعبيرية في شعر أبي تمّام، وهو لون النور المستقيم (غير المكسور)، ويرمز إلى الاحتفال والسرور، ساد استعماله بكثرة في ألبسة الإغريق والإمبرطورية الرومانية، وخاصة في مناسبات الاحتفال، والكهنة عندما كانوا يقدمون الضحايا لآلهة النور، وكذلك فرض في لباس رجال الدين كرمز إلى النور والمجد[١٠].

استخدم أبو تمّام اللون الأبيض بصورة كبيرة خاصة في مجال حديثه عن المرأة والممدوح ومتعلقاتهما، فقد وجد فيه الشاعر سحراً خاصاً؛ إذ فيه يتأتى الانقلاب مما هو عليه إلى ألوان أخرى كثيرة، كما في قوله واصفاً نظمه بأنه ساحر؛ لتحوّله من وجه إلى وجه في المديح والنسيب، وغيرهما من أغراض الشعر. قال:

سَاحِرِ نَظْمٍ سِحْرَ البَيَاض مِنَ الـ ألوانِ سائِبِهِ خَبِّهِ خَدِعِـهْ[١١]

وكثيراً ما كان اللون الأبيض عند أبي تمّام صفة للمرأة يستغني به عن اسمها أو

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 146

مبتسمة لكن سرعان ما البكاء بابتسامتها تلك جرّاء استعداده للرحيل، وهذه صورة حركية لونية في آن واحد.

وشبّه أبو تمّام المرأة ببيضة الخدر كما في قوله الذي يمدح به محمد بن يوسف الذي دخل حروباً كثيرة انتصر فيها جميعها، وكان قادراً على سبي النساء من الطبقات العالية، لكنّ تقواه منعته من ذلك:

ولَوْلا تُقَاهُ عَادَ قَيْضاً مُفَلَّقـاً بِأُدْحِيِّهِ بَيْضُ الخُدُورِ التَّرَائـكُ[١٦]

إنّ تشبيه الشاعر للمرأة ببيض الخدور جعله يستغني عن معانٍ كثيرة؛ لأنّ في هذا إشارة إلى المرأة المنعّمة المصونة التي تكون من أسرة كريمة تكفيها حاجتها فلا تضطر إلى الخروج للعمل؛ لذا فهي ناعمة ملساء، ولونها أبيض مشوب بصفرة لكنها ليست نتيجة لمرض أصابها، ولكن نتيجة لبقائها في الخدر، ويمكن أن يكون هذا اللون نتيجة لتضمخها بالعطر الذي قد يسيل على وجهها، فيكسبه اللون الأصفر، وهو يشير إلى ترفها وغناها؛ لأنّ ممدوحه كان قادراً على الانتصار على أعدائه من الملوك والأمراء وعلية القوم، وسبي نسائهم لشجاعته وقدرته الحربية من جهة، ولكنه من جهة أخرى كان تقيًّا تمنعه تقواه وعفته من التعرّض للنساء، وهذا غاية في المدح أن يجمع القائد بين القوة والشجاعة في المعركة، والحلم والتسامح والعفّة، والزهد في الأسلاب والغنائم خاصة السبايا كدليل على أنّ جهاده كان خالصاً لوجه الله. وقد ذهب بعض الدارسين إلى أبعد من ذلك، فرأى في تشبيه المرأة بالبيضة أبعاداً مخزونة في الوجدان الإنساني، فعنصر اللون الماثل في تشبيه المرأة بالبيضة لا يتوقف عند حدود خارجية فقط، وإنما يمكن أن يتعمّق حتى يكشف عن أبعاد ذات دلالات أسطورية أو رمزية، فالبيضة رمز صريح من رموز الخصب كالرحم، ولكنها أيضاً رمز من رموز الموت والانبعاث، فقد نقش البيض على أحجار التوابيت والقبور في حضارات مختلفة كالفينيقية والإغريقية، وما زال البيض رمزاً من رموز عيد الفصح عند المسيحيين، وعيد الربيع عند المصريين إلى اليوم [١٧].

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 147

قـــالَتْ وقَدْ أعْلَقْتُ كَفِّيَ كَفَّهـــَا حِلاً ومَا كُلُّ الحَلالِ بَطـــيِّبِ
فَنَعِمْتُ مِنْ شَمْسٍ إذَا حُجِبَتْ بَدَتْ مِنْ نُورِهَا فكأنَّها لم تُحْجَـبِ (١٤)

لقد أضاف الشاعر هنا إلى اللون الأبيض بوصفه لون الجمال المحبب لديه _ النعومة والشباب والترف، فهولاء النسوة كريمات لا يعملن، ودليل ذلك أنّهنّ درم الكعوب، وهنّ في لونهن وإشراقهنّ كالشمس، نورها الساطع يبدو من بين الحجب . إنّ جمال هؤلاء النسوة اكتمل من خلال الصفات المصاحبة للون الأبيض جميعها، وليس من خلاله هو حسب، فجميع هذه الصفات تنسجم مع اللون الأبيض مما منحه ألقًا كبيرًا، وأخرجه في صورة مشرقة بهيّة. ولا تناقض في تشبيه المرأة بدعج الظباء؛ لأنّه عنى به دعج العينين، أي شدّة سواد العينين، حيث أوقع الصفة على الموصوف، وهذا شائع في أساليب العربية، ولعل هذا يزيد من جمال الصورة حيث العيون السود تُبرز جمال اللون الأبيض، إضافة إلى كونها صفة جمالية قائمة بذاتها.

إنّ أبا تمّام يحوّل الألوان إلى مشاعر دافئة يظهر من خلالها إعجابه وافتتانه بصاحبته؛ لذا فإنّ صبوة اللون عنده تعدّ ملمحاً بارزاً عند حديثه عن النساء والحرب بشكل خاص. قال :

بُدِّلْتُ عَبْرَةً مِنَ الإيمـاض يَوْمَ شَدُّوا الرِّحَالَ بالأغْـراضِ

.....

نَظَرَتْ فالْتَفَتُّ مِنْها إلى أحْـ لى سَوَادٍ رَأيتُـه في بَـــيَاضِ (١٥)

لم يكتفِ الشاعر بوصف جمال اللون الأبيض المغروس في السواد مجرّداً، وإنما أبرز جماله في عينيها من خلال نظرتها، وفي هذا إضفاء للحياة على الصورة، إذ لم يجعلها مجرد صورة لونية جامدة، بل بثّ فيها قدراً كبيراً من الحياة ساهم من خلال إعطائها ميزة الحركة في كلمتي: (الإيماض ، التفتت) فبرز جمال الحور من خلال التفاتها، كما ترجم ما يصدر عن عينيها من لغة نتيجة لحركاتها من خلال تشبيه إيماء عينيها إيماء خفيّاً بإيماض البرق، وذلك كناية عن أنها كانت مسرورة

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 148

ولَوْ تَبَسَّمُ عُجْنا الطَّرْفَ في بَرَدٍ وفي أقاحٍ سَقَتْها الخَمْرُ والضَّرَبُ[٢٠]

كما شبّه أسنانها بالإغريض واللؤلؤ والإقحوان بياضاً ولمعاناً في قوله:

وثنايَاك إنَّها إغريـــضُ وَلآلٍ تُومٌ وبَرْقٌ وَمِيـــــــضُ
وأقَاحٍ مُنَوَّرٌ في بِطـــــاحٍ هَزَّهُ في الصَّبَاحِ رَوْضٌ أريضُ[٢١]

فالإغريض هو الطلع الأبيض، وقد يطلق على البَرَد أيضاً، ولعله أفضل هنا؛ لأنه يعطي ثغرها صفة البرودة المستحبّة في وصف الثغر، وهذا يكمل الصورة، أما الرائحة الطيبة، فقد اكتسبها من الإقحوان، واللؤلؤ يمتاز أيضاً ببياضه ولمعانه، والبرق يمتاز كذلك بإشراقه، ولعلّه ذكره هنا كناية عن ظهور هذه الأسنان عند ابتسامتها وميضاً سريعاً كالبرق وهذا أفضل، أما الأقحوان، فهو يمتاز بلونه الأبيض كما أنه يمتاز باتساقه ورائحته الطيبة، ولم يكتفِ بذكر الإقحوان، وإنما ميّزه بأنه نبت بطاح في روض أريض، وقد حركّه نسيم الصباح مما زاد من أرجه.

لقد رسم الشاعر لوحة فنية لثغر صاحبته مفعمة بالرائحة الطيبة، يغمرها اللون الأبيض المشرق بصفائه ولمعانه، ممزوجة ببرودة مستحبّة، فهي صورة لونية حركية شميّة بصرية في آن، وقد جاء اللون لخدمة أجزاء هذه الصورة مشكّلاً جوهرها المهم.

وقابل بين المرأة البيضاء والسيف الأبيض في مدحه لمحمد بن يوسف قائلاً:

ومَنْ كان بالبيض الكواعِبِ مُغرَماً فمَا زلْتَ بالبيض القَواضِبِ مُغْرمـا
ومنْ تَيَّمت سُمْرُ الحِسَـان وأُدْمُها فمَا زلْتَ بالسُّمْر العـــَوالي مُتَيَّمـا[٢٢]

إنه هنا يقارن بين نوعين من القادة، واحد يهتم بالنساء، وقد كنّى عنهن بالبيض إشارة إلى اهتمام هذا القائد بحياة اللهو والدعة، وآخر مغرم بالسيوف القاطعة الحادة، وكنّى عنها بالبيض أيضاً إشارة إلى اهتمامه بالحروب، والدفاع عن ثغور المسلمين، وشتان ما بين القائدين. لقد استطاع الشاعر أن يقابل بين صورتين متناقضتين مستفيداً من المجانسة الكاملة بين البيض الأولى والبيض الثانية؛ ليخدم

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 149

وقد يكنّي الشاعرعن بياض صاحبته بتشبيهه إياها بالدرّة، أو بالظبية البيضاء مكثّفاً ألوانه بصورة واضحة. قال:

يا هَذِهِ أقْصِري ما هَذِهِ بَشَـــــــرُ ولا الخَرائِدُ مِنْ أتْرَابِها الأُخَـــرُ
خَرَجْنَ في خُضْرَةٍ كالرَّوْضِ ليسَ لهَا إلاَّ الحُلِيُّ على أعنَاقِها زَهَـــــرُ
بِدُرَّةٍ حَفَّها مِنْ حَوْلِها الـــــــدُّرَرُ أرْضَى غَرامِيَ فيها دَمْعِيَ الدِّرَرُ
رِيمٌ أَبَتْ أنْ يَرِيمَ الْحُزْنُ لي جَـلَداً والعَيْنُ عَيْنٌ بماء الشَّوْقِ تَبْتَدِرُ[١٨]

فهو بتشبيه صاحبته بالدرة مرّة والظبية البيضاء (ريم) مرّة أخرى أبان لنا عن كل الصفات الجمالية للون الأبيض من البياض والإشراق والنعومة والترف إضافة إلى الشفافية والصفاء التي تتصف بهما الدرّة دون أن يأتي على ذكره، هذا إضافة إلى أنّ الصورة برمتها تشي بالجمال من جميع أطرافها، وقد زادت الألوان من جمالها وبهائها، فقد خرجت هذه الفتاة بين جمع من نسائها في موكب يعجّ بالجمال الملون والترف الظاهر، فهن يرتدين الملابس ذات اللون الأخضر، ولعله قصد الدمقس، وهو الحرير الأخضر، يصاحب هذا لون الحلي ولمعانه، فكأنما هي درّة تحيط بها الدرر، ولا يخفى اللون الأبيض اللامع والصفاء والإشراق المصاحب له في الدرّة، وكثيراً ما كان الشاعر يعمد إلى تكثيف اللون في صوره الخاصة بالمرأة، وذلك بإحاطته بعناصر اللمعان والإشراق والصفاء مما يوفر للصورة كماً وافرًا من الجمال الذي يحقق الانجذاب والانبهار لشخص المحبوبة، ومن ثَمَّ يكون غرامه لها مبرراً ومنطقياً. وقد ارتبط تشبيه المرأة بالدرّة في القديم، وفي العصر الجاهلي تحديداً بإيحاءات أسطورية لها أصولها في المعتقدات الجاهلية التي كانت في بعضها تقدّس الشمس[١٩].

استخدم اللون الأبيض أيضاً في وصف جمال الأسنان عند المرأة؛ إذ شبهها الشاعر بالبرد؛ لبياضها ونصاعتها ولمعانها، وكذلك كناية عن برودة الثغر، أو هي كالإقحوان في بياضه ونسقه ورائحته الطيّبة. قال:

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 150

الجزء البارز من الإنسان، والأكثر تأثراً بالحياة الكريمة أو الذليلة. قال:

ما زِلْتُ أَرْقُبُ تحتَ أفْيَاءِ المُنَى يوماً بِوَجْهٍ مِثْلَ وجْهِكَ أبْيضَا [٢٦]

لقد جعل أبو تمّام للمنى ظلالاً كناية عن وجود أمنيات كثيرة يرغب في تحقيقها، وهو يتفيأ تحتها متأملاً بوجه الخليفة الذي ينعته بالبياض رمزاً للبشر والتفاؤل والأمل عساه يحقق له ما يتمنى، فهو هنا في استخدامه للون الأبيض لم يكرر ما جاء به سابقاً، بل جاء بمعانٍ جديدة له تتناسب مع مراده في هذا البيت.

لقد ارتبط ذكر الممدوح باللون الأبيض عند الشعراء العرب منذ القديم، ولعل هذا يفسر قول (جورج مونان): إنّ قاموس الألوان في كثير من الثقافات يبلور ويقدم شيئاً أكثر من تجربة الحاضر، بل إنّ تجربة الماضي يختلف تصنيفها للألوان باختلاف التفسيرات الفيزيقية والميتافيزيقية والدينية هنا[٢٧].

وقد وصفت العرب الكريم بالبياض؛ لأنه من ألوان الأحرار، في حين أنّ السواد من ألوان العبيد. قال:

مِنْ كُلِّ أبيضَ يَجلُو منهُ سَائِلُهُ خَدّاً أسِيلاً بهِ خَدٌّ مِـنَ الأسَلِ [٢٨]

كان هذا الممدوح من شدّة كرمه إذا ما سأله سائل عن حاجة تقبّلها بالبشر، وبوجه طلق متهلل، وكأنه يجلوه بذلك كما تُجلى العروس. ولا يمكن للمرء أن يدرك أهمية اللون الأبيض إلا إذا أدرك أنه يعكس بعداً آخر غير المظهر الخارجي، ولعله يشير هنا إلى الأمل الذي يداعب خيال الشاعر الحالم بالفوز والعطاء؛ إذ إنه استغنى هنا باللون عن الاسم، أو بالصفة عن الموصوف [٢٩].

وقد توصف أعمال الممدوح بأنها بيضاء؛ لحسنها ونقائها. قال مشبهاً إياها بالورد الأحمر والأبيض:

أو ما رأيتَ الوردَ أتحفنا بـه إتحاف من خطرَ الصديقُ ببالـهِ
وَرْداً كتَوْرِيدِ الخُدُودِ تَلَوَّنَتْ خَجَلاً وأبيضَ في بَياضِ فَعَالِـــهِ [٣٠]

ولعظمة هذه الأعمال، وحسنها، فإنها تزيح الظلام وتدفعه عن المكان. قال:

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 151

المعنى الذي أراده ويخرجه في أوضح صورة وأبهاها. وكذلك فعل في البيت الثاني في حديثه عن سمر الحسان، والسمر القواضب، فقد استطاع الشاعر أن يجمع بين اللونين المتضادين في البيتين؛ ليؤكد مراده، ويعبّر عن المعنى الذي أراد.

ولم تكن المرأة النموذج الإنساني الوحيد الذي استخدمه الشاعر في وصفه اللون الأبيض، فقد استخدمه بصورة بارزة أيضاً مع الممدوح، إذ وصفه الشاعر بالبياض في مواضع كثيرة تعبيراً عن معانٍ كثيرة مختلفة، منها الشجاعة كما في قوله:

إذَا حُدُثُ القَبائل سَاجَلُوهـمْ فإنَّهُمُ بَنُو الدَّهْرِ التِّـــــلادِ
تُفرِّجُ عنهمُ الغَمَرات بيـــضٌ جِلادٌ تحْتَ قَسْطَلَة الجِـلادِ [٢٣]

إنّ اللون الأبيض يشير هنا إلى الرجال الشجعان والأشداء الذين هم كالسيوف القواطع يدافعون عن حقوق الناس ويمنعونهم من كل مكروه، بل يفرّجون عنهم كلّ الكُرَب التي تصيبهم، ومن ثَمَّ أسهم اللون في الكشف عن صورة الممدوح وصفاته العظيمة. فهو منزّه عن كلّ ماهو دنس، بل هو ذو صفات مثالية، ولعل ارتباط اللون الأبيض بالممدوح له إرث بالموروث القديم، فقد ارتدى المسلمون ثياباً بيضاء دلالة على الطهارة والصفاء والإيمان، وخاصة الحُجّاج، واتخذ الأمويون اللون الأبيض شعاراً لدولتهم دلالة على النيّة السليمة، والأمانة والصدق في متابعة رسالة الإسلام، والعمل على نشره [٢٤].

وقد ركز الشاعر على بياض الوجه عند الممدوح، فقال:

أمْتَعْتَ سَيْفَكَ مِنْ يَدَيْكَ بضربـة لا تُمْتِعُ الأرْوَاحَ بالأجْـسَادِ
من أبيضٍ لبياض وجهك ضامنٌ حين الوجوهُ مشوبةٌ بسـوادِ [٢٥]

إنّ المجانسة بين كلمة أبيض وبياض لم تأتِ عبثاً، فالسيف الأبيض القاطع يضمن لصاحبه الحياة الحرّة الكريمة، وذلك نتيجة لاستخدامه في سبيل المعالي، ورفع الظلم، وقد كنّى الشاعر عن الحياة الحرّة الكريمة ببياض الوجه، مقابل الوجوه الأخرى التي يخالطها السواد كناية عن الذلّ والمهانة، وما اختيار الوجه هنا إلا لكونه

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 152

وشبّه ممدوحه بالسيف الأبيض الحاد القاطع إشارة إلى حزمه وقوته ومضائه في الأمور. قال:

هززتَ أميرَ المؤمنين محمداً فكان ردينيّاً وأبيضَ مُنْصُلا[٣٤]

وقال في مديحه لإسحق بن إبراهيم متحدّثاً عن بطولاته، ومستخدماً اللون الأبيض بمعناه الحقيقي:

ولّتْ شَيَاطِينُهُمْ عَنْ حَدّ مَلْحَمَةٍ كانَتْ نُجُومُ القَنَا فِيها لَهُمْ رُجُما
تَرَكْتَهُمْ جَزَراً في يَوْمِ مَعْرَكَةٍ أقمَرْتَ فيها وكانَت فيهم ظُلَمَا
قد بَيَّضَتْ رَخَمُ الهَيْجا جَمَاجِمَهُمْ حتَّى لَقَدْ تَرَكَتْها تُشْبِهُ الرَّخَمَا[٣٥]

لقد استخدم الشاعر اللون الأبيض هنا استخداماً مختلفاً تماماً مع أنه ما زال في ساحة المعركة، حيث جاء بمعناه الوضعي للدلالة على حقيقة اللون الأبيض وصفته. فهذا القائد وجنوده الشجعان قد قتلوا أعداداً كبيرة من الأعداء، وتركوهم بالعراء للرخم، فكشفت لحوم الجماجم عنها، فابيضّت مواضعها، بعد أن كانت سوداء بفعل لون الشعر الذي يغطيها، وهو هنا يجمع بين أمرين متضادين يألف القارئ لشعر الحرب رؤيتهما، اللون الأبيض رمز الأمل والخير يتحوّل إلى رمز مضاد بالنسبة للعدو، فصورة الجماجم البيضاء صورة كريهة تعافها النفس البشرية إلا في الحرب مع الأعداء، إذ تتحول إلى صورة جميلة محببة؛ لأنها تعني النصر والتفاؤل بغد أفضل للأمّة بعد أن عانت الكثير من جراء ظلم الأعداء، وقتلهم من قتلوا، وأسرهم من أسروا، ولعلّ في مثل هذه الصورة مقدرة فنيّة كبيرة عند أبي تمّام؛ أن يأتي بالصور المتناقضة ظاهرياً إلا أنها في الحقيقة ليست بمتناقضة، بل منسجمة إلى أبعد حدود الانسجام، وكذلك هي الليلة المظلمة نتيجة لظلم الأعداء وقهرهم، ونتيجة لشدّة المعركة وهولها يمكن أن تتحول إلى النقيض تماماً؛ أي إلى ليلة صافية مقمرة بهمّة هذا القائد العظيم، وجنوده الشجعان الذين حققوا النصرلأمتهم، وتكتمل هذه الصوراللونية بتشبيه هؤلاء الأعداء في تعرّضهم للإسلام بالشياطين

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 153

جَلَوْتُ الدُّجَى عَنْ أذْرَبِيجَانَ بَعْدَما تَرَدَّتْ بِلَوْنٍ كالْغَمـــــامَةِ أرْبَـدِ
وكانَتْ ولَيْسَ الصُّبْحُ فيها بأبْيَضٍ فأمْسَتْ وَلَيْسَ اللّيْلُ فيها بأسْـوَدِ[٣١]

إنّ أفعال الممدوح قلبت موازين الأشياء، وغيّرت من طبيعتها، فها هو ذا محمد بن يوسف الطائي يزيح الدجى عن أذربيجان بعدما كانت جاثمة تحت السواد، أو ما يشبه السواد من ظلم وقتامة، إذ كان الصباح فيها ذا لون حالك، ولكنّ هذا الممدوح غيّر هذه الحال، فأصبح مساؤها وكذا صباحها أبيضي اللون.

التقابل بين اللون الأبيض واللون الأسود تحوّل إلى نوع من التوافق الذي يحقق مراد الشاعر، ومراد الأمة في تحقيق النصر، وجلاء الظلمة؛ ليحلّ محلّها صبح مشرق مفعم بالأمل، وبحياة أكثر عدلاً وأكثر عزّة، ولا يخفى حسن الإيقاع في ذكر اللونين: (الأبيض والأسود) .

وقوله مادحاً خالد بن يزيد الشيباني:

بجُودِكَ تَبْيَضُّ الخُطُوبُ إذَا دَجَتْ وتَرْجِعُ فِي ألوَانِهَا الحِجَجُ الشُّهْبُ[٣٢]

فكرم الشيباني يمكن هو الآخر أن يغيّر من واقع الأشياء وطبيعتها، فهو قد يفعل فعل السيف في ساحات المعارك، فإذا اشتدت الكُرَبُ على إنسان ما، أو جماعة ما، وساءت، وأصبحت سوداء قاتمة نتيجة لذلك، فإنّها تعود سهلة ميسّرة بيضاء اللون نتيجة لنقائها من كل صعوبة وتعقيد، وذلك بفعل ممدوحه، وعلى الرغم من التشابه بين القولين نجد أنّ الأول كان في مجال الحروب، والآخر كان في مجال الكرم والجود، وانظر إلى تلاعبه بالألوان إذ أحلّ كل لون مكان ضده؛ الأبيض مكان الأسود، والأسود مكان الأبيض .

إنّ الشاعر لا يوظّف اللون توظيفاً تجريدياً حسب، بل يجسّده، فهو إلى جانب خاصتي الحركة والموضوعية اللتين تميزان التفكير الدرامي، هناك خاصية أساسية لهذا التفكير هي خاصية التجسيد، ومن ثمّ كان التفكير الشعري تفكيراً بالأشياء، ومن خلال الأشياء؛ أي تفكيراً مجسّماً، لا تفكيراً تجريدياً [٣٣].

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 154

وقد رمز أبو تمّام إلى العطايا والنعمى بالأيادي البيضاء؛ لأنها تقدّم بواسطتها وتصدر عنها، ومن ثَمَّ فإنها قد تساهم في زيادة أوضاح من تُقدّم له. قال مادحاً نفسه:

لقد زدتَ أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضى من الأرض مَجْهلا
ولكنّ أيادٍ صَادَفَتْني جِسَامُهـــــا أغَرَّ فأوفَتْ بي أغَرَّ مُحَجَّـــــلا[٣٩]

إنّ الشاعر يقدّر قيمة المعروف، ويشكر عليه، ويحفظه لصاحبه، في حين أنّ الآخرين قد لا يفعلون ذلك، فتتغيرعندها لون هذه الأيادي، وتصبح باهتة رمادية بعدما كانت بيضاء ناصعة. لقد ساهمت هذه العطايا في جعل أوضاح الشاعر أكثر بياضاً لتكريم الممدوح له مما زاد في شرفه وقدره.

وقد تمتدّ هذه الصفة إلى مدينة الممدوح التي نعتها بالبياض أيضاً؛ لما عكسته من بياض ممدوحه المتمثّل في أخلاقه وأفعاله التي انتشرت في أرجاء المدينة ونواحيها كما في قوله :

لَوْلا ابنُ حَسَّانَ المُرَجَّى لمْ يَكُنْ بالرِّقّة البَيْضاء لي مُتَـلَوَّمُ[٤٠]

كما استخدم الشاعر اللون الأبيض في وصف مدينة سر من رأى موضحاً جمالها الأبيض النقي مشبّهاً إياها بالشمس في إشراقها وحسنها:

لزّت بها ضرّة زهراء واضحة كالشمس أحسن منها عند رائيها[٤١]

إنّ أبا تمّام يشير هنا إلى الصراع الحاد الذي يكون بين الضرائر خاصة عندما ترى إحداهنّ ضرّة أجمل منها وأصغر سنّا، وكذا كان حال مدينة بغداد مع مدينة سر من رأى التي هي كالشمس بجمالها ووضوحها.

كما تمتدّ صفة البياض إلى دولة الممدوح القوية المنعة النقية من كل عيب أو ضعف كما في قوله يمدح الواثق بالله :

في دَوْلةٍ بَيْضَاءَ هَارُونِيَّـــــةٍ مُتَكَنِّفاها النَّصْرُ والتَّمْكِيـنُ[٤٢]

لقد كانت هذه الدولة التي يعتليها هارون بيضاء اللون نتيجة للانتصارات التي

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 155

التي تسترق السمع، وتشبيه الممدوح بالكواكب التي ترجم هذه الشياطين، ولا يخفى الأثر الكبير للقرآن الكريم في رسم هذه الصورة عند أبي تمّام، فإذا كانت الشياطين رمزاً للظلام، فإنّ الكواكب رمز للنور، إنّ هذه الصور اللونية الثلاث قامت على المقابلة بين النور والظلام.

وقد يمتدّ اللون الأبيض إلى عطايا الممدوح خاصة إذا جاءت بعد قلق وتوتر من عدم الاستجابة والتحقق. قال:

وأحسَنُ مِن نَوْر تُفَتِّحهُ الصَّبا بَياضُ العَطايا في سَوادِ المطالِبِ [٣٦]

لقد رمز إلى القلق والتوتر اللذين يكونان عند المتأمل بالعطاء بسواد المطالب؛ إشارة إلى الغمّة التي يكون فيها صاحبها، وهذا يبرر جمع الشاعر للنقيضين (البياض والسواد) معًا في البيت، فالعطايا في هذه الحالة تكون أحسن، وأفضل وضعًا من نَور فتّحته رياح الصبا اللطيفة المشبعة بالندى، والمليئة بالأمل والبشر والفرح.

إذا كانت المادة صفة ثابتة في الشيء، فهي عند الشاعر ذات دلالة خاصة تتعدى إشاراتها المعجمية إلى كونها موضوعاً له وظيفة إنسانية[٣٧]، من هنا يأتي استخدامه لها استخداماً مختلفاً، وهذا يفسر استخدام أبي تمّام للألوان بشكل عام، وللون الأبيض بشكل خاص بطرق كثيرة ومتنوعة ومختلفة في كل موضع من مواضعه .

وكما هي عطايا الممدوح بيضاء لتعددها وتميّزها، ولأهميتها في حياة الشاعر، فإنّ نعماه كذلك بيضاء لدنة تقرّح قلب كل حاسد من كثرتها وعظمتها. قال:

فأُبْتُ بنُعْمَى منْهُ بيْضَاءَ لَدْنَـةٍ كثِيرةِ قَرْحٍ في قُلوبِ الْحَواسِدِ [٣٨]

لا يمكن للون الأبيض اللدن أن يقرّح القلوب، فمثله لا يكون كذلك في الواقع المعروف، بل العكس من ذلك تماماً، ولكن الشاعر لم يقصد اللون بحدّ ذاته، بل فعله ونتيجته، أي نتيجة لامتلاكه لهذه النعم النديّة من قبل الممدوح، ستتقرّح قلوب حسّاده، وأعدائه حسداً وقهراً.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 156

إنّ التغيّر من طبائع البشر والأشياء، فحينما أصاب المرض ابن أبي دؤاد أفقده نضرته وعزيمته لكنه سرعان ما شفي، وعاد أفضل مما كان، تماماً كالنجم ينطفىء حيناً لكنه يعود فيشتعل، ولعلّ استخدام الشاعر لكلمة (يشتعل) إشارة إلى الصورة الجديدة ذات الإشراق الكبير التي أصبح عليها ممدوحه من الألق والنشاط وقوّة العزيمة، فهو الآن في صورة أفضل مما كان عليه في الماضي بعدما شفي من حالة المرض التي عانى منها.

إنّ تعامل الشاعر مع الألوان بكل طاقاتها التعبيرية قد ساعد على تأكيد الشعرية في شعره من ناحية، كما ساعد على توسيع دائرة الفضاء النصي من ناحية أخرى[٤٧].

وقال في مديحه للمأمون:

ما زَالَ حُكْمُ اللهِ يُشْرِقُ وَجْهُـه في الأرض مُذْ نِيطَتْ بكَ الأحكامُ[٤٨]

لقد جعل الله الخلافة هبة من الله وهبها للمأمون، ومن ثَمَّ فإنّ حكمه في الأرض هو من تيسير الله وهديه، وكأنّ الممدوح لايحكم عن هوىً؛ ولهذا كان وجهه دائم الإشراق؛ لأنّه مطمئن إلى رضا الله ودعمه له في كل أمر يجدّ، كما هومطمئن إلى نصره ومؤازرته في كل شأن.

وقال في محمد بن يوسف:

أنْسى ابتسامَك والألوَانُ كاسِفَـةٌ تَبَسّمَ الصُّبْح في دَاجٍ مِنَ الظُّلَم[٤٩]

يتذكّر الشاعر هنا مواقف ممدوحه الإيجابية السابقة، فهو لا ينسى حسن استقباله له بابتسامة مشرقة تنمّ عن رضاه، وتلبية كل حاجاته مهما بلغت في حين كانت الدنيا مظلمة، والألوان باهتة من حوله، لا يوجد فيها من يقدّم له عوناً على أمر، فهو ما زال يتذكر ابتسامته التي كانت أشبه ما تكون ببزوغ الفجر من ليل شديد الظلمة. والشاعر هنا يعمد مرة أخرى إلى مزج ألوانه في البيت الواحد، فهي من حوله كاسفة قاتمة، ثمّ تأتي ابتسامة ممدوحه المشرقة كإشراق الصبح في ليل شديد

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 157

حققها، والسؤدد الذي كان له عليها، فهي دولة بيضاء نقية من العيوب، وذات سيادة كبيرة، وقوية بكل موازين القوى المتعارف عليها؛ لذا نعتها بالبياض لصفاء صفحتها، وصفاء صفحة الخليفة الذي يعتليها.

نلاحظ أنّ الشاعر قد أكثر من ذكر اللون الأبيض في مديحه؛ لارتباط دوال هذا اللون بمدلولاته في كثير من الأحيان لكنه لم يكن ذكراً باهتاً، أو بلا فائدة، بل جاء به في صور كثيرة ومتنوعة بحيث خدم وجوده المعنى الذي أراده في كل مرة، من هنا يمكن تحديد الدلالة بدقة باعتبارها مسكونة بقانون الوحدة الإنثروبولوجية نتيجة تسلط المعرفة السلفية للألوان في وجدان الشاعر(٤٣).

وكثيراً ما جمع الشاعر في مديحه خاصة بين اللون الأبيض، وصفة الوضوح والإضاءة والإشراق، في أسلوب بديع من تكثيف اللون، وكأنّ صفة الإشراق تساوي اللون الأبيض أو تشترك معه في معانٍ كثيرة. قال في مديحه لخالد بن يزيد الشيباني يصف نسب قومه بأنه واضح كالفجر لا لبس فيه، ولا اختلاف عليه كالأرض المستوية استواء تاماً :

لَهُمْ نَسَبٌ كالفَجْرِ مَا فِيهِ مَسْلَكٌ خَفِيٌّ ولا وَادٍ عَنُودٌ ولاَ شِعْبُ (٤٤)

وقال فيه أيضاً يصف مقدرته في الخلاص من الخطوب:

فخرجتَ منهُ كالشهاب ولم تَزَل مذ كنتَ خرّاجاً من الغمَّاءِ(٤٥)

أي خرجت من الخطب الذي أغضب الخليفة كما يخرج الشهاب مضيئاً صافياً نقياً من كل عيب، فأنت هكذا دائماً تستطيع النفاذ من كل شدّة مظلمة، ولعلّ الجمع بين المتضادين هنا الضوء والظلام جاء بفائدة كبيرة في إبراز اللون، والاستفادة منه في إبراز المعنى الذي أراده الشاعر حيث كلمة الفجر توحي بالوضوح والإشراق، وهي نقيض الظلام الذي يوحي بالقتامة وعدم الوضوح.

وقال في مرض أحمد بن أبي دؤاد :

وحَالَ لَوْنٌ فرَدّ اللهُ نَضْرَتَهُ والنَّجمُ يَخْمُدُ شيئاً ثُمَّ يَشْتَعِلُ(٤٦)

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 158

غرابة في ذلك، فقد قال الشاعر في غرض المديح كثيراً من قصائده، وهو غرض يناسبه الحديث عن الشجاعة والبطولات الحربية التي كان السيف أداتها الأولى. قال في مديح المعتصم ذاكراً فتح الخرميّة:

مَحْوٌ مِنَ البيض الرِّقاق أصَابَه فعَفَاهُ لا مَحْوٌ مِنَ الأحَـــوالِ
كَمْ صَارمٍ عَضْبٍ أنافَ على فَتىً منهُم لأعْباء الوغَى حَمَّـــالِ
سَبَقَ المَشيبَ إليْه حتَّى ابتـــزَّهُ وطَنُ النُّهَى مِنْ مَفرِقٍ وقَـذَال(٥٣)

لقد محت السيوف البيض المكان الذي تحصّن فيه بابك وقومه، فجعلته عافياً مقفراً من سكانه، فكان هذا نتيجة لعمل السيوف التي يحملها أبطال المسلمين لا نتيجة للظروف الطبيعية التي غالباً ما تكون هي المسئولة عن خراب المكان وإقفاره من السكان، كل ذلك إشارة إلى كثرة أعداد القتلى، فسبق الزمان في الوصول إلى رؤوسهم حيث قهرهم بالموت، وسلبهم حياتهم قبل أن يقهرهم بالشيب إشارة منه إلى الشيخوخة، ومن ثمّ الموت؛ أي إنهم ماتوا قبل أوانهم.

وقال في مديحه له أيضاً مهدداً ومتوعّداً المارقين :

إذا مـارِقٌ بالغَدْرِ حَاوَلَ غَـــــدْرَةً فذَاكَ حَرِيٌّ أنْ تَئيمَ حَلائـــلُهْ
فإنْ باشَرَ الإصحَارَ فالبِيضُ والقَنَـا قِرَاهُ وأحوَاضُ المَنَايَا مَناهِلُـــهْ(٥٤)

لقد تحوّل السيف والرمح إلى قرىً يقدّم إلى كل المارقين والخونة، كما أنّ المنايا أصبح لها أحواض ينهل منها هؤلاء، وقد كنّا نسمع من الشعراء العرب من قبل أنّ الخونة والأعداء يتحوّلون إلى قرىً للسيوف والرماح، لكنّ الشاعر هنا جعل السيوف والرماح هي القرى، والمارق يقبل على تناولها بإرادته مثلما اختار موقف الخيانة بإرادته، كل ذلك زيادة في المبالغة في التهديد والتشديد على كل من تسوّل له نفسه بالخروج على الخليفة، أما الحوض الذي كان رمزاً إلى الحياة واستمرارية الوجود، فقد أصبح رمزاً للموت ينهل منه كل خائن .

إنّ اللون يُعلي من عملية الرؤية ويمنحها حدّة وحيوية وعمقاً (٥٥)، فبدلاً من أن

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 159

الإظلام، فجاء اللون الأبيض المشرق؛ ليجسّد الأمل بكل صوره ومعانيه في وقت قاتم.

إنّ دوال اللون في الخطاب الشعري تتآلف مع هذا الخطاب تآلفاً غير متوقع، وتتحرر نتيجة التراخي في أواصر التركيب، وتنخرط في علاقات جديدة تستجيب لمتطلبات الشعرية، ذلك؛ لأنّ لهذه الدوال رموزاً ومعاني، ووظيفة الشاعرمعرفة استخدام هذه الرموز، وتلك المعاني؛ ليعيد تشكيل اللغة، ويخلق لها ذاكرة جديدة(٥٠).

قال في ذكر الفوارس الذين ساعدوا محمد بن يوسف على تحقيق النصر:

وسَاعدَه تحتَ البيَاتِ فَوارسٌ تَخالُهمُ في فحْمةِ اللَّيـل أنْجُما (٥١)

إنهم كالنجوم التي تكون أكثر بروزاً ووضوحاً في الليل الحالك السواد بما هم عليه من قوة ونشاط ممتشقين سيوفهم، هذا إذا أُخذ المعنى على الظاهر، ويمكن أن نذهب أكثر بعداً فنقول: إنّ الشاعر قد عنى بفحمة الليل حالة الظلم الشديد السائدة آنذاك، وهؤلاء الفرسان قد ساعدوا قائدهم على الخلاص من هذه الحالة، فأبدلوا هذا الوضع وضعاً أفضل؛ إذ بزغ فيه فجر جديد أفضل مما كان عليه في السابق.

استخدم أبو تمّام اللون الأبيض أيضاً في مجال الرثاء كما في قوله يعزي مالك بن طوق عن أخيه القاسم:

وإن تَكُ مَفجُوعاً بأبيضَ لم يَكُنْ يَشُدُّ على جَدواهُ عِقْدَ التَّمائِـم (٥٢)

لقد تعوّد الشعراء العرب ذكر صفات المرثي الإيجابية سواء في قصيدة الرثاء الخاصة بالمقربين منهم، أو في قصائد التعزية الرسمية، ومنها هذه القصيدة التي نعت فيها الشاعر المرثي بالأبيض كناية عمّا كان يتمتع به من نقاء السريرة، وصفاء النفس، فقد كان يقوم بأعمال عظيمة إلا أنه لم يكن يراها هكذا تواضعًا وعظمة، وهذا زيادة في مديحه وبيان عظم الخسارة به.

من المجالات المهمّة التي استخدم فيها أبو تمّام اللون الأبيض أيضاً السيف، ولا

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 160

إنّ أبا تمّام كان يسعى إلى تجسيد صوره، ووصلها بعالم الأشياء من حوله، جاعلا للون دوراً أساسياً. قال في الخرمية:

يَوْمٌ أضَاءَ بهِ الزَّمانُ وفَتَّحَـــتْ فيهِ الأسِنَّةُ زَهْرَةَ الآمـــــالِ [٦٠]

إنّه يوم خير وبشرى ستكون له نتائج عظيمة على مرّ الزمان، فهو سيضيء المستقبل كما أضاء الحاضر، فبوساطة السيف وما قام به المعتصم وجيشه العظيم من تضحيات شعر الناس بالأمل من جديد بحياة أكثر أماناً، وأكثر استقراراً . لقد جعل الشاعر للآمال (زهرة) وقد عملت الأسنّة على تفتيحها؛ إنّ هذا النصر قد فتح باب الأمل واسعاً لحياة فضلى، ومستقبل رائع لا يكتفي الإنسان فيهما بالأحلام، بل يعمل على تحقيقها أيضاً.

ولعلّ من أجمل ما قيل في جمال يوم النصر قول أبي تمام:

غَدا وكأنَّ اليَوْمَ مِنْ حُسْنِ وَجْهِهِ وقَدْ لاحَ بَيْنَ البِيضِ والبَيْضِ ضاحِكُ [٦١]

لقد جعل أبو تمام هذا اليوم ضاحكاً نتيجة لزهو ممدوحه بالنصر الذي حققه، ويبدو هذا اليوم أكثر وضوحاً وإشراقاً عند وقوف ممدوحه بين الأبطال حاملي السيوف، وكأنه بهذا يعلن أنّ النصر والفرح إنما يتحققان بما يقدّمه الإنسان من تضحيات في سبيل وطنه وأمته.

ومما قاله في رثاء محمد بن حميد الطائي مصوّراً عظم فقده، وحال السيوف بعده :

وقد كانت البيضُ المآثيرُ فى الوغى بواتر فَهْيَ الآنَ من بعده بتـــرُ [٦٢]

يعني ما خسر الناس بفقده من انقطاع البقية، وقلّة الخير، فقد كان شجاعاً مقداماً ابنًا للسيوف القاطعة بأفعاله وبطولاته، فلما قُضِيَ أصبحت هذه السيوف مبتورة لا ولد لها؛ لأن ليس لها من يحملها.

لقد اختلف الحديث عن صورة السيوف في حالة الرثاء عنها في حالة المديح؛ إذ سيطرت نغمة الحزن على الصورة الشعرية، وكذلك على السيوف نفسها في الرثاء،

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 161

يهدد أبو تمّام المارق بالقتل والموت كنّى عنهما بالصورة الذوقية اللونية السابقة، فحمّل العبارة صوراً أكثر قدرة على الانفعال والتأثير.

وقال في نتيجة عمل السيف:

بِيضٌ إذا انتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِها رَجَعَتْ أحَقَّ بالبِيض أتْرَاباً مِنَ الحُجُبِ(٥٦)

فمن نتائج عمل السيف أنه يحارب الأعداء، وينتصر عليهم، ويسلبهم أعزّ ما يملكون نساءهم وبناتهم، ولكنه لم يشأ أن يقول ذلك مباشرة، بل جعل السيوف التي سُلّت من أغمادها أحق بالفتيات الجميلات من الحجب .

وتحدث عن فعل السيف في مجال آخر قائلاً:

قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ النِّفَاقِ وأخْفَتَتْ بِيضُ السُّيوف زَئِيرَ أُسْدِ الغَابِ(٥٧)

فمن نتائج فعل السيف أيضاً أنه يخرس أصوات الثائرين حتى لو كانوا في قوتهم كالأُسود. يلاحظ أنّ الشاعر وإن تحدث عن نتائج فعل السيف في البيتين إلا أنه لم يكرر صوره مع أنه استخدم اللون الأبيض كناية عن السيف في كل منها، بل كان ينوّع في صوره حسب غرض القصيدة، ومناسبتها.

وقال في حديثه عن كثرة الموت في مديحه لأبي سعيد محمد بن يوسف الطائي:

فِي مَوْقِفٍ وَقَفَ الْمَوْتُ الزُّعَافُ بِهِ فالْمَوْت يُوجَدُ والأرْوَاحُ تُفْتَقَدُ

في حَيْثُ لا مَرْتَعُ البِيضِ الرِّقاق إذا أُصْلِتْنَ جَدْبٌ ولا وِرْدُ القَنَا ثَمَدُ(٥٨)

فالشاعر يصف هول المعركة حيث الموت يحصد رؤوس الأعداء بهذه السيوف، التي لا يمكن لها أن تكون مجدبة وهي بأيدي هؤلاء الأبطال، وكذلك الرماح، فقد شربت من دمائهم الكثير؛ إذ لا يمكنها هي الأخرى أن تعود عطشى.

وجعل للسيف أنفة عظيمة كما هي للإنسان العظيم، فهي لا ترضى بالتقصير حين ترى اشتداد الحرب، واتقاد نيرانها، كل ذلك كناية عن صفة الفرسان الذين يمتشقون هذه السيوف. قال:

بالبيضِ قد أنِفَتْ إنَّ الحُسَامَ إذا هَجِيرَةٌ حَرّضَتْهُ ساعةً أنِفَا(٥٩)

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 162

نَالَ رَأْسِي منْ ثُغْرَةِ الهمِّ ما لَمْ يَسْتَنِلْهُ منْ ثُغْرةِ المِيـــــلادِ
زارني شَخْصُهُ بِطَلْعَة ضَيْـــمٍ عَمَّرَتْ مَجْلسي منَ العُــوَّادِ[٦٧]

قد يفاجأ القارئ لموقفه هذا من البياض بعد كل الذكر الإيجابي السابق له، لكن هذا البياض هو بياض الشيب الذي ذكره الشعراء بكره والتبرم منه خاصة أنّ هذا الشيب لم يكن نتيجة لتقدمّه بالعمر كما قد يُعتقد، بل هو نتيجة لما عارك في هذه الدنيا، ورأى فيها من موجعات، ولما فجعته به الهموم، فقد كان من قبل ينكر وجود شعرة بيضاء واحدة في رأسه، أما الآن فقد تغيّر الحال، وصار ينكر وجود الشعرة السوداء كناية عن كثرة الشيب في شعره، وقد صاحب هذا الوضع مرض وضعف مما أكثر من عوّاده.

فاللون الأبيض هنا يحمل دلالة سلبية؛ لأنّ السياق هو الذي يحدد دلالة اللون، وليس صورته الخارجية، وهذا يعكس قدرة الشاعر على استخدام الأصباغ والألوان استخدامًا فنيًا، إذ تتحول هذه الأشياء من مجرد مدركات بالحواس إلى معانٍ ذهنية مترسّخة في وجدان الشاعر [٦٨]. انظر إلى قوله:

أَلَمْ تَرَ آرَامَ الظِّباءِ كأنَّـــما رَأَتْ بيَ سيدَ الرَّمْلِ والصُّبْـحُ أَدْرَعُ
لَئِنْ جَزِعَ الوَحْشِيُّ منْها لرُؤْيَتـي لإِنْسِيُّها منْ شَيْبِ رَأسِيَ أَجْـــزَعُ
غَدَا الهَمُّ مُخْتَطّاً بِفَودَيَّ خطَّـةً طَرِيقُ الرَّدَى منْها إلى النَّفْس مَهْيَعُ
هُو الزَّوْرُ يُجْفَى والمُعَاشَرُ يُجتَوَى وذُو الإلْفِ يُقْلى والجَدِيدُ يُرَقَّـــعُ
لَهُ مَنْظَرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصِعٌ ولكنَّهُ في القَلْبِ أسْوَدُ أسْفَـــــعُ
ونَحْنُ نُزَجِّيهِ على الكُرْهِ والرِّضا وأنْفُ الفَتَى منْ وَجهِهِ وهْوَ أجْـدَعُ[٦٩]

يصف الشاعر الآثار السلبية التي تركها الشيب في حياته، ونفسه، فهو يشعر بأنّ الناس ينظرون إليه نظرة سلبية بسبب لون شَعره الجديد حيث هو لون الضعف والانكسار، وقد خصّ المرأة بهذه النظرة، وهو أمر مكرور في الشعر العربي، لعله مرتبط بإحساس الشاعر بأنّ الشيب يبعد النساء عنه؛ لأنهنّ يفضلن الشباب، وقد

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 163

فبعدما كانت في مجال المديح منتصبة ولامعة وقوية وضاحكة أصبحت الآن حزينة مبتورة. وشبيه بهذا قوله في مرثيه السابق من قصيدة أخرى:

فتىً كان شرباً للعفاة ومرتعاً فأصبح للهنديةِ البيضِ مرتعًا[٦٣]

لقد انقلبت الأحوال رأسًا على عقب بموت هذا البطل، فبعدما كان يُطعم الآخرين، ويقدّم للمحتاجين كل مساعدة ممكنة، أصبحت السيوف البيض ترتع فيه كناية عن مقتله .

وقد قال في هجاء أحد خصومه وقد انهزم في المعركة :

والخيل سانحة وبارحة والموت يغشى الشرق والغربا
والبيض تلمع في أكفهم رأد الضحى فتخالها شهبا
ثمّ انثنت عيناك قد رأتا أمراً فأودعت الحشا رعبا[٦٤]

يصف الشاعر السيوف اللامعة في أكفّ المحاربين تلمع كالشهب في وقت ارتفاع الضحى؛ لأنّ انعكاس أشعة الشمس على هذه السيوف البيضاء الحادة وهي تتحرك بقوّة في أيدي المحاربين الشجعان، أو تخرّ فوق رؤوسهم جعلها مضيئة لامعة؛ مما جعل الرعب يدبّ في قلب هذا الجبان.

استخدم أبو تمّام اللون الأبيض كذلك في وصف السراب في قوله:

وبِسَاطٍ كأنَّما الآلُ فيهِ وعَلَيهِ سَحْلُ المُلاءِ الرَّحِيضُ[٦٥]

هذه صورة لونية أخرى حيث وصف الشاعر السراب وقد امتدّ على الأرض بالثوب الأبيض المنشور وقد غسل للتو؛ مما يجعله لامعاً إضافة إلى بياضه، فيبدو هذا السراب أبيض اللون مضيئاً. إنّ أبا تمّام كان قادراً على غرس الألوان في سياقاتها التعبيرية التي من خلالها تشكّلت المواقف الرئيسة لكثير من أشعاره [٦٦].

لم يستخدم أبو تمّام اللون الأبيض دائمًا بصفته الإيجابية، بل استخدمه أيضًا بصورته السلبية في حديثه عن الشيب، فرسم له لوحات حزينة ومؤثرة. قال:

طَالَ إنْكارِيَ البَياضَ وإنْ عُمِّرْ تُ حِيْنًا أنْكَرْتُ لوْنَ السَّوادِ

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 164

القار، ولعلّه قصد هنا اسوداد جلودهم جرّاء تعرّضها للشمس والرياح، وبهذا يكون الشاعر قد استخدم اللون الأسود في موضعه الحقيقي فنحن على صعيد معين نجد مواد العمل الأدبي الرفيع كلمات، وهي على صعيد آخر تجربة السلوك الإنساني، وعلى صعيد ثالث الأفكار الإنسانية والمواقف[٧٣].

وكنّى أبو تمّام عن لؤم الأخلاق بتحويل اللئيم لون المعروف من لونه الأبيض إلى الأسود كما في قوله يعتذر :

فَقدْماً كُنْتُ مَعْسُولَ الأمانِـي ومَأْدُومَ القَوافِي بالسَّـــداد
لقَدْ جَازَيْتُ بالإحْسانِ سُـوءًا إذاً وصَبَغْتُ عُرْفَكَ بالسَّوادِ[٧٤]

إنّ في قوله :(صبغتَ) يدل على أنه قام بالفعل عن سبق إصرار وتصميم، ولم تأتِ الأمورعفوية، وكأنه كان يخطط مسبقاً لها، حيث أبانت هذه الأعمال عن سوء أخلاقه، وكانت منه شكراً على الإحسان الذي قدّم له، والخلق النبيل الذي عومل به.

استخدام الشاعر للون الأسود في الهجاء لا يعني الإتيان بصور متطابقة أو حتى متشابهة؛ لأنّ الشاعر كان قادراً على التنويع في صوره وتشبيهاته. قال في توبيخ جماعة:

لأصبَحَتْ كالأثَافِي السُّفْعِ أوجُهُكُم سُوداً مِنَ العَارِ لاسُوداً مِنَ الْحُمَـمِ[٧٥]

الأثافي ذات لون أسود نتيجة لإشعال النارعندها، فتتلون بالسواد نتيجة للدخان والنار حتى لازمها السواد بحيث يطلق عليها غالباً اسم (الأثافي السود)، إنّ العار يفعل هو الآخر فعله في الناس، فيحوّل وجوههم إلى مثل هذه الأثافي في سوادها، وبشكل دائم.

واستخدم أبو تمّام اللون الأسود في المجال الإيجابي في وصف عيون المرأة الحوراء الدعجاء. قال:

فلا شَنَبًـا يَهْوَى ولا فـــــلجا ولا احورارا يراعيه ولا دَعَـجَـــا[٧٦]

واستخدمه كذلك كناية عن الشباب في قوله:

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 165

أبدع في تصويره لموقفهنّ بأن شبههنّ بآرام الظباء، وشبّه فزعهن من شيبه بفزع هذه الآرام من الذئب الأدرع، وقد خصّ منه سيّد الرمل؛ لأنه أشدّ جوعاً، ومن ثَمَّ أشدّ ضراوة؛ إذ لا يجد في الرمل صيداً، ومن هنا يكون أكثر إفزاعاً للظباء. ويحلو للشاعر أن يعود مرة أخرى للمقابلة بين اللون الأبيض والأسود، ولكن في هذه المرة من باب التأثير النفسي السيِّئ، فهذا اللون ليس له من صفة إيجابية سوى البياض لكنه بياض ليس ككل البياض، بل هو بياض مكروه، وتأثيره في القلب شديد السواد، ولكن لا بدّ من قبوله، والرضا به؛ لأنه جزء من صاحبه تماماً كرضا صاحب الأنف المجدوع به رغم بشاعته.

_٣_

اللون الثاني الذي كان له الغلبة التعبيرية في شعر أبي تمّام هو اللون الأسود، لون الليل والحزن، ولون الإبادة والموت، وقد رمز الأسود إلى الظلام الأبدي، وإلى الخطيئة والشيطان، وكان في العصور القديمة يعني الشر والخطر والفزع [٧٠]. استخدمه الشاعر بكثرة، وبتنوع ملحوظ في موضوع الهجاء خاصة، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ اللون الأسود ليس من الألوان المستخدمة أو المستحبّة في موضوعي الغزل والمدح إلا في مواضع محددة، ولما كان غرض المديح أكثر الأغراض الشعرية التي قال فيها أبو تمّام، فإنّ هذا يفسّر استخدامه الكثير للون الأبيض مقارنة بالألوان الأخرى. قال في هجائه لموسى بن إبراهيم :

وكذاك من قَصَدَ اللئام بعاجل في المدح سُوِّد وَجْهُهُ في الآجِلِ[٧١]

إنّ الشطر الثاني من البيت نتيجة حتمية للشطر الأول، فمن يطرق باب شخص لئيم طالباً ما هو عاجل كالدراهم والمكانة الدنيوية لا بدّ أن يندم في المستقبل؛ لأنّه سيرى اسوداد وجهه في المستقبل القريب. وقال في ذكر الإفشين وجماعته:

سُودُ الثِّيابِ كأنَّما نَسَجَتْ لَهُمْ أيْدِي السَّمُومِ مَدَارِعاً مِنْ قَارِ[٧٢]

فثيابهم سوداء اللون؛ لأنها تخفي العار والخزي في طيّاتها حتى كأنها نسجت من

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 166

قسوته وتقلبه، لكنّ ممدوحه بقوة جيش عظيم، فهو قادرعلى مجابهة الليالي الشديدة وحده، كما هو قادر على التعامل مع الإيجابية منها، وهو بعلمه وحكمته يعلم أن لا بدّ لهذه الشدائد أن تعبر حياة الإنسان كم تعبرها سنوات الرخاء.

استخدم الشاعر الليالي أيضاً بمعناها الحقيقي، وقد كانت هي الأخرى سوداء لما لاقاه فيها من متاعب ومخاطر في رحلته إلى ممدوحه. قال:

جازِعَاتٍ سُودَ المَرْورَاةِ تَهْـ ديها وُجُوهٌ لِمَكْرُماتِكَ بيـضُ (٨٢)

ارتباط المكان باللون الأسود هنا وسيلة اتكأ عليها الشاعر لعرض صعوبة المكان، وظروفه السيئة، فهذه النوق قطعت الأماكن الصعبة من وديان وغيرها متحمّلات الكثير من مشاق السفر ومخاطره؛ لأجل ملاقاة الممدوح، ونيل مكرماته العظيمة النقية من كل نقص أو عيب.

وقال يصف سواد الليل الحالك مشبّهًا إياه بالإثمد الذي اكتحلت به أرجاء المكان؛ يعني أنّه كان حالكاً جدّاً مما يزيد في الخوف من مخاطر الطريق، ومع ذلك سافر فيه؛ مما يوضح شجاعته وقوّته؛ مبيّناً لممدوحه ما لقيه في سفره إليه من مخاطر:

إليْكَ هَتَكْنَا جُنْحَ لَيْلٍ كأنَّـــــــهُ قَدِ اكْتَحَلَتْ منْهُ البِلادُ بِإثْمِـدِ (٨٣)

واستخدم أبو تمّام الليل الأسود كناية عن الجهل في مدحه لشعره:

خُذْهَا ابْنَةَ الفِكْرِ المُهَذَّبِ فِي الدُّجَى واللَّيْلُ أسْوَدُ رُقْعَةِ الجِلْبَـــــابِ

بِكْراً تُوَرِّثُ في الحَيَـــــاةِ وتَنْثَنِي في السِّلْمِ وهِيَ كَثِيرَةُ الأسْـلابِ (٨٤)

الهاء في(خذها) عائدة على القصيدة التي قالها في مدح مالك بن طوق جعلها الشاعر بنتًا لفكره العالي المنقّح من كل ضعف وعيب في زمن الجهل المدقع، وكأنه ثوب شديد السواد، وقد جاءت هذه القصيدة نقطة بيضاء مضيئة في هذا الليل الحالك.

وكثيراً ما كان الشاعر يستخدم الألوان في وصف قصائده، ولعل هذا يثبت إحساس الشاعر بقيمة اللون في الحياة، وفي بناء الصورة الشعرية خاصة، ولما لها

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 167

أوَ مَا رَأتْ بُرْدَيَّ مِنْ نَسْجِ الصِّبَى ورَأتْ خِضَابَ الله وهو خِضَابي(٧٧)

ذلك أنّ الإنسان قد يستر شعره الأبيض بالخضاب، ومن ثَمَّ فإنّ الشاعر رأى في اللون الأسود الطبيعي هو الآخر خضاباً لكنه خضاب طبيعي؛ لأنّه من عند الله .

كما استخدمه استخداماً إيجابياً في وصف جيش المأمون قائلاً:

سَفَعَ الدُّؤُوبُ وُجُوهَهُمْ فكأنَّهُمْ وأبُوهُمُ سَامٌ أبُوهُمْ حَـام(٧٨)

لقد أثّر السفر فيهم، فتغيّرت ألوانهم، فأصبحت سوداء، وكأنهم من أولاد السودان مع أنهم كانوا من أولاد البيضان، وهذا مدح كبير لسعيهم إلى الجهاد في سبيل الله، وتحمّلهم مشاق السفر، والظروف الجوية السيئة التي حوّلت لون وجوههم من اللون الأبيض إلى الأسود .

وكنّي عن الشجاعة في ساحة المعركة باسوداد الوجه قائلاً:

تَرَى قَسَماتِنا تَسْوَدُّ فيـها وما أخْلاقُنا فيها بِسُـودِ(٧٩)

نتيجة للغبار الكثيف الذي يكون في ساحة المعركة تحوّلت وجوه هؤلاء الأبطال إلى اللون الأسود، لكنّ هذا كان في الشكل الخارجي فقط، أما أخلاقهم، فبقيت بيضاء بأفعالهم العظيمة التي تورق الحرية والرفعة والعزة.

وقد استخدم اللون الأسود أكثر شيء مع الزمان بمفرداته المختلفة واصفًا أحواله غير الإيجابية. قال يذكر مكنيًا عن تغيّر الزمان السلبي باسوداده:

قوم إذا اسودّ الزمان توضّحوا فيهِ فغودر وَهْوَ منهم أبلـق(٨٠)

إنّ هؤلاء القوم بأخلاقهم، وعظمتهم كانوا قادرين على تحويل صفة الزمان الأسود بهمومه وصعوباته إلى زمان أبيض مفعم بالخير والبشر.

ومن ألفاظ الزمان التي استخدمها أبو تمّام كلمة الليالي في قوله مكنيًا عن صعوبتها وقسوتها باللون الأسود:

وإنْ عَثَرَتْ سُودُ اللَّيالي وبيضُها بوحْدَتِه ألفيْتَها وَهْيَ مَجْمَـعُ(٨١)

اقتران صورة الزمان باللون عند حديث الشاعر عن الليالي جاءت لتؤكد لنا

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 168

ضَوْءٌ مِنَ النَّار والظَّلْمَاءُ عَاكِفَـــةٌ وظُلْمَةٌ مِنْ دُخَان فِي ضُحىً شَـحِبِ
فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقَدْ أَفَلَـتْ والشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا ولَمْ تَجِـبِ(٨٧)

كما غيّرت معركة عمورية وجهاً من وجوه التاريخ بعد أن استعصت المدينة كثيراً على الفاتحين على مرّ الزمن، وتمّ ذلك للمعتصم، فقد تغيّرت أشياء أخرى كثيرة معها، إذ عبّر الشاعر عن حرق المدينة بحشد من الصور اللونية جاءت جميعها لتصوّر هول ما فعل المعتصم بها، فقد تحوّل اللون الأسود الحالك بظلامه، وكأنه جلابيب ملتفّة إلى نهار أبلج بضياء نيران الحرائق، وضياء الأمل بالغد الأفضل، والزهو بالنصر، وكأنّ ظلام الليل لم يعد يرغب بلونه الأسود بعد اليوم، وكأنّ الشمس بقيت قائمة ليلا لا تريد أن تغيب، كل ذلك كناية عن الحرائق المشتعلة في أرجاء المدينة إذ اختلط ضوء الليل بضوء النيران، واختلط النهار بدخان الحرائق، فكأنّ الشمس مشرقة في عمق الليل، وقد اختفت في وضح النهار، فتحوّل كل إلى ضده كما تحوّل حال كل من المسلمين والكافرين إلى ضده بعد هذه المعركة، ولعل هذا من أهم الأسباب التي جعلت الشاعر في هذه الأبيات يتكئ بالدرجة الأولى على أسلوب الطباق في بناء صوره.

إنّ أبا تمّام يحاول أن يكشف التأثيرات البصرية للصورة الشعرية بحشد عدد كبير من الألوان أو ظلالها في النص الشعري؛ ليدلّنا على التحوّل الكبير، والتغيّر من حال الظلمة إلى حال انبلاج فجر جديد.

وقال في مديحه للمعتصم مشبّهاً الظلم الذي وقع على الأمة الإسلامية في ذلك الزمان بأنّه أسود شديد الظلمة :

جَلا ظُلُماتِ الظُّلْمِ عَنْ وَجْهِ أمَّـة أضَاء لهَا مِنْ كَوْكَبِ الْحَقِّ آفِلُـهْ(٨٨)

لقد استطاع المعتصم أن يزيح الظلم الذي رزحت الأمة العربية الإسلامية تحته فترة من الزمن بسبب تسلّط الروم عليها، وظلمهم للناس، وقسوتهم عليهم، فأعاد لها مجدها السابق، ومكانتها العظيمة يوم كانت تحقق النصر تلو الآخر، وتعيش

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 169

من تأثير في سامعيها. قال في اعتذاره لأحمد بن أبي دؤاد:

خُذْها مُثَقَّفَةَ القَوافِي رَبُّـــها لسَوابِغ النَّعْمَاءِ غَيْرُ كَـــنُود
حَذَّاءُ تَمْلأُ كُل أذْنِ حكْمـــةً وبَلاغَةً وتُدرُّ كُل وَريـــــد
كالطَّعْنَة النَّجْلاء منْ يَد ثَائـرٍ بأخيه أو كالضَّرْبة الأُخْـدُود
كالدُّرِّ والمَرْجَانِ أُلِّفَ نَظْمُـــه بالشَّذْرِ في عُنُقِ الفَتاة الـرُّود
كَشَقيقَة البُرْد المُنَمْنَم وَشْـيُهُ في أرْض مَهْرَةَ أو بِلاد تَزيـد[٨٥]

فالشاعر يبدو على ثقة كبيرة من شعره؛ لذا يعد ممدوحه بقصيدة ذات مواصفات عظيمة مقوّمة القوافي تنتشر بين الناس ماضية تملأ الآذان حكمة، وتطربها موسيقى، وتفعل فعلها مع الحاسدين فتذبحهم وتُسيل دماءهم بغزارة، فهي وإن كانت ضربة قوية لكل هؤلاء الحاسدين والواشين، فإنها بجمالها الأخاذ كعقد في عنق فتاة ناعمة جميلة مكون من الدر الأبيض والمرجان الأحمر مصوغ بالذهب أو الفضة، أو كبرد يماني كثير النقوش والألوان. إنّ اللون هنا يشكّل جزءًا مهماً من الصورة الشعرية لدى الشاعر حيث يوظفه؛ ليبين قوة تأثير شعره دون أن يذكر ذلك مباشرة، حاشدًا عددًا من الألوان بصورة مباشرة أو غير مباشرة مثل اللون الأحمر في قوله: (تدّر كل وريد، الطعنة النجلاء)، وفي حديثه عن جمالها حيث شبهها بالعقد الملون أو بالثوب المنمنم.

ويتحدث عن أيام الحرب بأنها هي الأخرى أيام سوداء؛ لأنها أيام شدائد ومخاطر وقلق، لكنّ ممدوحه يحوّلها إلى أيام بيضاء؛ لأنّه يكشف شدّتها؛ ويجلي غمّتها ببلائه فيها البلاء الحسن. قال في مديحه لأحمد بن عبد الكريم الطائي:

كَمْ جِئْتَ في الهَيْجَا بِيَوْمٍ أَبْيَـــضٍ والحَرْبُ قد جَاءَتْ بِيَوْمٍ أَسْـوَدَا[٨٦]

وقال في وقعة عمورية:

غَادَرْتَ فيها بَهِيمَ اللَّيْلِ وهْوَ ضُحًى يَشُلّه وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَـــبِ
حَتَّى كَأَنَّ جَلابِيبَ الدُّجَى رَغِبَـتْ عَنْ لَوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِـــبِ

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 170

-٤-

ومن الألوان الأخرى التي استخدمها أبو تمّام اللون الأحمر وقد رمز هذا اللون إلى القوة والشباب المتفجّر حيوية، وهو يدل على النار، ومن ثَمَّ على الحب الحارق[٩١] . كما يدل على القوة والبطش؛ لذا ارتبط بالدم، ومن ثمّ بالقتل والموت. استخدمه الشاعر مع المرأة خاصة في وصفه لخدّ صاحبته. قال مشبّهًا إياه بالورد الأحمر:

ملطُومَةٌ بالْوَرْدِ أُطْلِقَ طَرْفُهـا في الخَلْقِ فهْوَ مَعَ الْمَنُونِ مُحَكَّمُ[٩٢]

فالخد الأحمر عنصر من عناصر الجمال المثير عند المرأة؛ لذا رآه الشاعر مسانداً لطرفها الذي كان أحد أسلحة القتل عندها لشدة تأثيره في الآخرين، ولم يشأ الشاعر أن يشبّه خد صاحبته بالورد مباشرة، أو باللون الأحمر، لكنه جعلها ملطومة بالورد الأحمر كناية عن عمق هذا اللون وتوزعه العشوائي؛ مما يعطي حمرة طبيعية وكثيفة إضافة إلى النعومة، والرائحة الطيبة حيث هي جميعًا من صفات الورد، وتعدّ عملية تأليف العناصر المتنوعة، وتداخلها المؤدي إلى تفاعل حي في النظرية الشعرية الحديثة من أهم خصائص الفن[٩٣] .

وقال فيها وقد أصابتها الحمى:

يا عليلا حشا الجوانـح نـــارا كان لي فيك حافظ الجار جارا
معدن الحسن والملاحة قد أصـ ـبح للسقم معـدناً وقـــــرارا
إنّ وجه الحمى لوجه صفـــيق حين تسطو به نهارا جهـــارا
لم تشِن وجهه المليــح ولـكنْ جعلت ورد خدّه جلّنـــــــارا[٩٤]

إنّ الحمّى التي أصابت صاحبته جعلت وجهها أحمر كالجلنار في لونه وجماله، فزادها جمالا وملاحة، رغم أنّ المتوقع من المرض أن يفعل النقيض تماما، ولكن الشاعر لم يكن ليفوّت فرصة في وصف جمال صاحبته حتى في حالة المرض، وقد ساهمت الصفات الجمالية الأخرى المادية منها والمعنوية في تكثيف جمال هذه الفتاة وإبرازه.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 171

حالة دائمة من المجد والكرامة.

وجعل الكُرَبَ أيضاً سوداء اللون لكن هذه المرة للأعداء من الروم. قال في فتح عموريّة أيضًا:

أتَتْهُمُ الكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً مِنْها وكانَ اسْمُها فَرَّاجَةَ الكُرَبِ(٨٩)

فقد كنّى الشاعر عن الهزيمة الساحقة التي لحقت الروم يوم عمورية بأنها كربة سوداء جاءتهم غير مبالية بشيء؛ لنتائجها السلبية الكثيرة بالنسبة للروم، فبالإضافة إلى كثرة أعداد القتلى والجرحى والأسرى سقطت عمورية أكثر المدن تحصيناً ومنعة، ومن ثَمَّ انتهت قصة المدينة الأسطورة التي لا تفتح مما فتّ في عضد الروم، وهدم معنوياتهم كثيراً.

وإذا كانت النفوس تأنس إذا خرجت من العقل إلى الإحساس، فقد نجح أبو تمّام بإخراج كثير من صوره من دائرة الذهنية إلى دائرة الحسيّة، فجعلها تدرك عن طريق السمع أو المشاهدة أوالشم مستخدماً اللون في ذلك كلّه.

لقد عبّر أبو تمّام بدوال اللون الأسود عن مدلولات كثيرة كالجهل والكربة والحرب والغمّة، وجميعها يجمعها شيء واحد ألا وهو الظلمة المعنوية أو المادية.

ليس بالضرورة أن يكون اللون الأسود دائمًا دليل شؤم أو رمزاً إلى الظلمة والظلام، فقد استخدم علامة على النصر والظفر كما في قوله :

وقائِعُ قدْ سَكَبْتَ بها سَوَادًا على ما احمَرَّ مِنْ ريش البَرِيدِ(٩٠)

لقد ابتعد الشاعر هنا عن الطبيعة المأساوية للون الأسود لما استخدمه في أمر يثير البهجة بالنفس، فهو يشير هنا إلى ما كان متعارفًا عليه من أنّ البريد إذا جاء وعليه السواد كان ذلك دليل الظفر، وإذا كانت عليه حمرة كان خلاف ذلك جريًا على عادة العباسيين في لبس السواد؛ لذا فإنّ هذه الحروب التي خاضها ممدوحه كانت توقّع بالسواد؛ لانتصاره فيها.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 172

وَصَلَتْ دُمُوعاً بالنَّجيعِ فخَدُّها في مِثْلِ حاشِيَةِ الرِّداء المُعْلَمِ[٩٨]

لقد وصف دمع صاحبته بأنه مثل الدم ينحدر على خدّها الأبيض نتيجة لإسرافها بالبكاء، فكان مثل علم أحمر في حاشية رداء أبيض، من هنا جاء الشاعر بصورة لونية يتداخل فيها اللون الأحمر مع الأبيض، ولعلّ هذا التداخل بين اللونين الأحمر والأبيض هو الذي أكسب الصورة صفة جمالية كما أراد لها الشاعر.

ولا أدري لماذا لجأ أبو تمّام إلى مثل هذا التشبيه، فعلى الرغم من محاولته بعث عنصر الجمال فيه نرى أنه يبقى غير مألوف ولا مرغوب فيه في مثل هذا الموضع، ولعل كثرة الحروب التي عايشها، وتحدث عنها في شعره جعلت صورة الدم مألوفة عنده كثيراً حتى استخدمها بصورة ملحوظة في صوره، ومنها صور الغزل.

استخدم الشاعر اللون الأحمر أيضاً في مجال الحرب سواء أكان ذلك على مستوى الأعداء أم على مستوى الشهداء، وقد لبس المحاربون منذ القديم ألبسة حمراء؛ للدلالة على سفك الدماء، والتضحية بالحياة، وتعبيرًا عن الشجاعة الخارقة، وبهذه الألبسة تكمن رغبة المحاربين في تقوية معنوياتهم، وإثارة حماستهم؛ لتخويف العدو ودفعه إلى الهزيمة [٩٩]. قال في وقعة عمورية:

كَمْ بَيْنَ حيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي الذَوَائب منْ آني دَمٍ سَـرِبِ
بِسُنَّةِ السَّيْفِ والحِنَّاءُ مِنْ دَمِـــهِ لا سُنَّةِ الدِّينِ والإسْلاَمِ مُخْتَضِبِ[١٠٠]

إنّ الشاعر يعظّم شجاعة المعتصم وجنوده الأبطال الذين انتصروا في معركة عمورية من خلال تعظيمه لعدوه، من هنا وصف قتلى الروم بأنهم كانوا فرسانًا أبطالاً لكن بطولة المسلمين وفروسيتهم كانت أكبر وأعظم بحيث أردوا فرسان الروم، وتركوهم بساحة المعركة مضرجين بدمائهم، وكأنهم خُضبوا بالحناء لكن هذا ليس من باب السنّة الشريفة التي شجعت على الاختضاب بالحناء، ولكن من باب سنّة السيف التي اقتضت قتلهم، والصورة هنا صورة إيجابية رغم كراهيّة النفس البشرية للدم بوصفه علامة من علامات الموت؛ لأنها تحمل بشرى النصر

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 173

وقال متغزّلاً أيضاً:

قد صنّف الحسن في خديك جوهره وفيه قد خلّف التفاح أحْمَرَهُ

وكل حسن فمن عينيك أوله مذ خط هاروت في عينيك عَسْكَرَهُ[٩٥]

هنا أيضاً يصف أبو تمّام خد صاحبته بالحمرة لكنها حمرة التفاح الأحمر في لونه وملاسته وجماله، وربما في طعمه اللذيذ، وفي كل هذا علامات جمالية بارزة اتكأ الشاعر عليها في كثير من المواضع، ويصبح هذا الجمال أكثر بروزاً، وأكثر تأثيراً حينما تجاوره صفات جمالية أخرى كجمال العيون وغيرها .

وقد يجمع الشاعر في وصف الخد بين الحمرة والصفرة كما في قوله:

تفاحة جرحت بالدرّ من فيها أشهى إليّ من الدنيا وما فيها

حمراء في صفرة علّت بغالية كأنما قطفت من خدّ مهديها

جاءت بها قينة من عند غانية نفسي من السقم والأحزان تفديها[٩٦]

لعل هذه الصفرة هي ذاتها التي أحبّها الشاعر في لون وجه صاحبته؛ أي التي تتأتى نتيجة لبقائها في الكنّ، أو لعلها صفرة الروميات التي تحدث عنها أيضاً مشبهًا خدّ صاحبته بهذه التفاحة الملونة بالأحمر والأصفر، وهي ذات رائحة طيبة، وقد أضاف إلى الصورة اللونية لوناً آخر هو اللون الأبيض اللامع المشرق؛ أي لون أسنانها التي جرحت التفاحة مشبّهاً إياها بالدرّ.

وقد شبّه بنانها بالعنم في قوله:

عَهْدِي بمَغْنَاكَ حُسَّانَ المعَالِمِ مِنْ حُسَّانَةِ الوَرْدِ والبَرْدِيّ والعَنَمِ[٩٧]

فالعنم ذو لون أحمر، ويستحبّ هذا اللون في أطراف الأصابع عند المرأة، وقد يكون لوناً طبيعياً، أو ناتجاً من الصباغة بالحناء، فهو إذاً عنصر آخر من عناصر الجمال عند المرأة؛ لأنّه جاء في سياق جمالي.

ومن الصور المألوفة للون الأحمر مشهد الدم الذي يبدو كريهاً إلا أنّ الشاعر حوّله إلى لون جمالي. قال:

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 174

العنصر الأساسي في الصورة الشعرية؛ لذا يثير الشاعر في السامع نفسه ووجدانه ما يبعث على الإحساس بالخوف والرعب من القتل.

-٥-

من الألوان المهمة الأخرى التي استخدمها أبو تمّام في شعره اللون الأخضر، فهو لون الحقول الخصبة، ولون الأمل بمحاصيل ثمينة، وقد كانت العرائس تلبس في القديم ثوبًا أخضر مكللا ومزينًا بألوان أخرى، وهذا التقليد يدلّ على فكرة الأمل بالسعادة في الحياة الشابة الجديدة، وقد رمز اللون الأخضر لدى الفراعنة إلى السرور والصحة [١٠٦].

استخدم الشاعر اللون الأخضرعند الحديث عن الممدوح، وذكر صفاته المادية أو المعنوية . قال في مديحه لأحمد بن المعتصم:

نَوْرُ العَرَارَةِ نَوْرُهُ وَنسيمُـهُ نَشْرُ الخُزَامَى في اخضِرارِ الآسِ[١٠٧]

لقد شبّه أبو تمّام ممدوحه بثلاثة أنواع من النبت هي العرارة والخزامى والآس، ولم يكن ذلك من باب حشد أسماء النبات في شعره، وإنما هناك شيء يميّز كلاً من هذه النباتات فقد جعل نوره مثل نور العرارة في جمالها ورائحتها الطيبة، وأكدّ مرة أخرى الرائحة الطيّبة، وذِكْره المتميز بأن جعل نسيمه مثل رائحة الخزامى الطيبة، وهو كالآس في دوام الخضرة كناية عن ديمومة عطائه.

وكما يوصف العطاء بالخضرة، فقد وصفت النعم أيضاً بذلك كناية عن خصبها وديمومتها . قال في محمد بن يوسف:

اِسمَعْ أقامَتْ في دِيارِكَ نِعْمَةٌ خَضْراءُ ناضِرَةٌ تَرفُّ رَفِيـفَا

ريّا إذا النعمُ انتقلن تخيّمتْ وإذا نَفَرن غدت عليك ألوفا[١٠٨]

لقد أضاف الشاعر إلى النعم صفة النضارة؛ مما يبقيها ريّا لا تتغير، ولا تفنى إذا النعم الأخرى فنيت، وعبّر عن ديمومتها بصورة جميلة إذ جعلها مخيمة فوق صاحبها يتفيأ تحت ظلها، وصاحبة ألوفة له في كل مكان يحلّ به، كل ذلك كناية عن

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 175

وقتل الأعداء، وعندها يصبح موت الروم حياة بالنسبة للمسلمين، ورغم كون الصورة في أصل وضعها لونية بصرية لكنها قد توقظ في النفس أحاسيس كثيرة في ذات اللحظة بعضها بصري وبعضها ذهني[١٠١] .

الدم في شعر أبي تمّام عنصر أساسي لعلاقته بالقتل في ساحات المعارك التي كثرت في عصره خاصة أنه مدح عدداً من الخلفاء والأمراء الذين خاضوا غمار الحروب مع الروم. وكانت الدماء تتفجر من بين مدائحه الكثيرة هذه.

وكذلك شاع ذكر اللون الأحمر مع الموت ناعتًا إياه بالموت الأحمر. قال في كبش أُهدي له:

ومُلَحّباً لاقَى المَنِيَّةَ حاسِـراً والمَوْتُ أحمرُ واقِفاً بِحيالِهِ[١٠٢]

فالموت الأحمر أو المنايا الحمر كناية عن الدم الذي يغرق فيه المقتول، ومن ثَمَّ ارتبط الموت باللون الأحمر؛ لأنّ الدم علامة قوية من علامات الموت، وواحدة من الإشارات المهمة له. قال في مديحه لمحمد بن حسّان:

يَعْلَمُونَ حتَّى ما يَشُكُّ عَدُوُّهُـمْ أنَّ المَنَايَا الْحُمْرَ حَيٌّ مِنْهُـمُ[١٠٣]

وقال في وصف يوم النصر:

مَصِيفٍ مِنَ الهَيْجَا ومِنْ جاحِمِ الوَغَى ولكنَّه مِنْ وابِلِ الدَّمِ مَرْبَـعُ[١٠٤]

فالدم، ومن ثمّ اللون الأحمرعلامة لونية بارزة في شعر أبي تمّام بحيث كان له نصيب كبير من معجمه الشعري، ولعلّ ذلك يعود إلى كثرة الحروب التي خاضتها العرب في زمانه، وامتشاقه هو لسيف مدح القادة الذين خاضوا هذه الحروب، ووصف هذه المعارك بكل ما فيها من الدماء المتحدّرة من الأعداء كناية عن النصر، أو من جند المسلمين كناية عن الشهادة، وما يتبعها من التأسيس لحياة فضلى، ومستقبل مشرق. قال في مديحه لمحمد بن يوسف:

إذَا أجرَمُوا قَنَّا القَنَا مِنْ دِمائهِـم وإنْ لَمْ يَجِدْ جُرْماً عليهم تَجَرَّما[١٠٥]

في هذا البيت استنفار لوعي السامع لخطورة اللون الأحمر (قنّا القنا)، فالدم هو

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 176

تردّى ثيابُ الموتِ حُمراً فما أتى لها الليلُ إلا وهي من سندسٍ خضرِ[١١٤]

وقد يتحدث عن اللون الأخضر وهو يعني به الأسود قال متغزلاً:

لما استقل بأرداف تجاذبـــــه واخضرّ فوق جمان الدر شاربـُــهُ[١١٥]

كنّا نجد مثل هذا الوصف في النبات نتيجة لشدة اخضراره يوصف بالسواد، إلا أنّ الشاعرهنا عكس الأمر بأن جعل ما هو أسود أصلاً أخضر اللون في حديثه عن الشارب الذي بدا للتو كناية عن حداثة السنّ .

استخدم الشاعر اللون الأخضر أيضاً في الحديث عن المعروف والمكان. قال في مديحه لأحمد بن دؤاد:

ومنَ الحَظِّ في العُلَى خُضْرَةُ المعْرُو ف في الجَمْعِ منْهُ والإفْـرَاد[١١٦]

إذا كان المعروف أخضر اللون، فهذا يعني أنه زكي في نمو مطرد، وهذا من خصائص المعطي في علاه؛ لأنّ عطاءه كان دائماً نضراً أخضر اللون في كل حالاته.

وقد أكثر الشاعر من وصف المكان بالخضرة، وكثرة الأزهار، واصفًا إياه بأنّه موشّى، أو منمنم. كما في قوله:

عُنِيَ الرَّبيعُ بِرَوْضِهِ فَكأنَّمَـا أهْدَى إلَيْهِ الوَشْيَ مِنْ صَنْعَـاءِ [١١٧]

وقال في مديحه لمحمد بن الهيثم جاعلاً من بيته ومجلسه ساحة خضراء له فيها ماء ونبت دائمان؛ لأنّه مطمئن إلى مكانته عند ممدوحه، ولا أحد بقادر على ذكره بسوء، أو إفساد العلاقة بينهما. قال:

لكم ساحةٌ خضراءُ أنى انتجعتُها غدا فارِطي فيها صَدوقاً ورائِدي[١١٨]

وقد تُستخدم كلمة الخضراء كناية عن السماء. قال:

كمْ أهْدَتِ الخَضْراءُ في أحمالِها للأرْضِ مِنْ تُحَف ومِنْ أَلْطَـافِ

فكأنَّني بالـــرَّوْضِ قَدْ أجْلَى لهَا عَنْ حُلَّةٍ مِنْ وَشْيِه أفْـــــوَاف[١١٩]

إنّ نتاج السماء من مطر وغيره كان السبب في خضرة الأرض، فلقد قال أبو تمّام هذه القصيدة في اعتذاره إلى صديقيه؛ لتأخره عنهما بسبب نزول المطر واصفًا

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 177

ملازمتها له في كل زمان ومكان.

لم يكن هدف الشاعر هنا التلوين والزخرفة، وإنما جاء اللون عنده؛ ليعبّر عن دلالة نفسية اجتماعية وجمالية في آن، فعنصر اللون يرتبط بكل من المبدع والمتلقي في آن واحد حتى وإن اختلفت دلالة الألوان باختلاف المرجعية التي ينطلقان منها[١٠٩].

وقال في عطايا ممدوحه محمد بن عبد الملك الزيّات :

رجَعْتَ المنَى خُضْراً تَثنَّى غُصُونُها عَلَيْنا وأطلَقْتَ الرَّجاءَ المكَبَّلا[١١٠]

شبّه الأماني الخضراء غضّة الأغصان مثل الفتاة الناعمة التي تتمايل تيهًا ودلالاً، وقد أطلقت العنان لكل رجاء كان مكبّلاً خوفاً أو حياءً كناية عن كثرة العطايا التي أغدقها عليه ممدوحه. إنّ الشاعر يوظّف دواله اللونية بتواصل وتكاثف وإضافة عبر توسيع خارطة حساسيته الشعرية من خلال الموقف الذي استدعاه حضوره[١١١].

وقال في مديحه للحسن بن وهب مستخدمًا كلمة العشب المعروفة باخضرار اللون:

سمَا إلى السُّورَةِ العَلْيَاءِ فاجْتَمَعَا في فِعْلِهِ كاجْتِماعِ النَّوْرِ والعُشُبِ[١١٢]

لقد عبّر الشاعر هنا عن أخلاق ممدوحه في سموه إلى المعالي، فجمع بين الكرم والأدب وشبّه هذا باجتماع الزهر والعشب معًا، فكما اجتماعهما رمز عطاء وجمال، وبهجة تريح العين والقلب، فكذلك أخلاق هذا الممدوح .

أيضًا أخلاق صديقه خضراء اللون. قال يمدح علي بن الجهم وقد جاء يودعه لسفر أراده، وكان أصدق الناس معه جاعلًا أخلاقه خضر الربا :

لا تَبْعَدَنْ أبَدًا ولا تَبْعُدْ فما أخْلاقُكَ الخُضْرُ الرُّبَا بِأباعِدِ[١١٣]

وثياب الشهيد هي كذلك خضراء اللون بعد أن كانت ساعة الموت حمراء، إما لكرامة الشهيد عند الله، فتحوّلت ثيابه الملطخة بالدم إلى ثياب خضراء حيث يرد الجنة، وينعم بها، وقد يكون أيضًا لثمار الشهادة التي تقطفها أمّة الشهداء من نصر وعزّة وكرامة ، وإما لكليهما معًا. قال في رثاء محمد بن حميد الطائي:

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 178

هناك، فهذه الفتاة التي شبهها بالغزال في حسنها، وجمالها ملكت قلبه بما تملكه من جمال وجبروت وتمنّع هي روميّة من بني الأصفر إلا أنّ الظرف اختلف، وكذلك المناسبة، فاختلفت معهما اللغة والوصف.

ويمكن ضمّ اللون الذهبي إلى الأصفر للقرب بينهما، مع التنبّه للقيمة المادية العالية للذهب. قال في مديحه للحسن بن وهب:

صيغتْ له شيمةٌ غرّاء من ذهبٍ لكنّها أهلَكُ الأشياءِ للذهـبِ[١٢٢]

إنّ أخلاق هذا الممدوح كأنها مصوغة من الذهب لعلوها وحسنها إلا أنّها تفني الذهب بالبذل، وتهلكه بتقديمه للمحتاجين.

وقال في مديحه لعمر بن طوق يذكر رحبة مالك بن طوق:

رُفِعَتْ بِأيَّامِ الطِّعَانِ وغُشِّيَتْ رَقْرَاقَ لَوْنٍ لِلسَّمَاحَةِ مُذْهَـبِ[١٢٣]

إنّ أبنية هذا الممدوح وأهله رفعت بجهادهم ونضالهم ضد المعتدين والظالمين، وقد غشيها لون كالذهب من سماحة أخلاقهم، ووجوههم، فكانت ذات قيمة عالية كعلو أخلاقهم، وقيمة سماحتهم.

استخدم الشاعر اللون الذهبي أيضاً في وصف الخمرة حيث رسم لها لوحة فنية لا تقل عن رسومات الرسام جمالاً وفناً. قال:

عِنَبِيَّةٌ ذَهَبِيَّـــــةٌ سَبَكَتْ لـهـا ذَهَبَ المَعَانِي صَاغَةُ الشُّعَـرَاءِ
أَكَلَ الزَّمَانُ لطُولِ مُكْثِ بَقَائِها مَا كانَ خَامَرَهَا مِنَ الأقْـذَاءِ
خَرْقَاءُ يَلْعَبُ بالعُقولِ حَبَـابُهَا كَتَلَعُّبِ الأفْعَالِ بِالأسْمَـــــاءِ

.....

وكأنَّ بَهْجَتَها وبَهْجَةَ كَأسِهَـــا نَارٌ ونُورٌ قُيِّدَا بِوِعَـــــــاء
أوْ دُرَّةٌ بَيْضَاءُ بِكْرٌ أطْبِقَـــتْ حَبَلاً عَلَى يَاقُوتةٍ حَمْـرَاءِ[١٢٤]

لقد اعتصرت هذه الخمرة من العنب، وجاء لونها مثل لون الذهب، وقد تبارى الشعراء منذ القديم في وصفها، فجعلوها كسبائك الذهب في لونها وقيمتها، وهي

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 179

غزارته، وأثره في الأرض إذ جعلها رياضًا مليئة بالألوان المختلفة، أو أنّ المكان امتلأ بثمر العشر الأبيض، فأصبح المكان كلّه أبيض اللون، وكلا المعنيين جائز.

-٦-

من الألوان المهمّة التي استخدمها الشاعر أيضًا اللون الأصفر، وقد استخدم هذا اللون بكثرة عند شعوب الشرق الأدنى كالأشوريين والفينيقيين والكلدانيين حيث لعبت الشمس دور آلهة الخلود في دياناتهم، كما استخدم عند الشعراء العرب ربما كنوع من التأثر بهذه العبادة، وربما كنوع من الوصف الواقعي حيث لون الشمس أصفر أو أقرب ما يكون إليه.

استخدم أبو تمّام اللون الأصفر عند حديثه عن الروم على اعتبار لونهم الأصفر (الأشقر) الذي كانوا ينعتون به. قال في مديحه للمعتصم بعد فتح عمورية:

فبين أيامك اللاتي نُصِرْتَ بها وبين أيام بدر أقرب النسب

أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلّت أوجه العرب[١٢٠]

يتحدث الشاعر هنا عن واحدة من نتائج معركة عمورية مشبّهًا إياها بمعركة بدر الفاصلة، فيقول: إنها تركت الروم صفر الوجوه خزيًا وعارًا وألمًا وذلاً، فأصبحوا اسمًا على مسمى، في حين أنّ وجوه العرب عمّها الجلال والرفعة، والزهو بالنصر العظيم الذي حققوه، لقد جاءت المجانسة بين (بني الأصفر وصفر) وافية وفاء تاماً بالغرض، وقدّمت المعنى الذي أراده الشاعر بأفضل صورة.

وقال يتغزل بفتاة رومية :

أنا ميت ولئن متّ فمن حبي أموت

لغزال من بني الأصـ فر فيه جبروت[١٢١]

مع أنّ بني الأصفر هم أنفسهم الذين تحدث عنهم الشاعر في البيتين السابقين إلا أنّ الصورة هنا مختلفة تماماً؛ لأنّ موضوع الغزل الذي قال فيه الشاعر هذين البيتين مختلف عن موضوع الحرب السابق، ومن ثَمَّ اختلفت طبيعة الحديث هنا عنه

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 180

معه، وتشكّل لوحات جمالية أخّاذة كالنعومة والترف والإشراق مشبّهًا إياها بالظبية أو الدرة مكثفًا صوره بصورة ملحوظة، أو مضيفًا إلى الصورة اللونية خصائص الحركة او الطعم الطيب أو الرائحة الطيبة، وكثيرًا ما جمع بين اللون الأبيض والأسود في محاولة لإبراز جمال اللون الأبيض أو قيمته من خلال الجمع بينه وبين ضده، أومن خلال المقابلة بينهما.

أما الممدوح فهو أبيض اللون بشجاعته وأعماله وأخلاقه وعطاياه البيضاء المشرقة التي تجلو كل ظلام ترزح الأمة تحته، ويفرج كل الخطوب، ويزيل كربة كل محتاج أو مكروب، وكثيرًا ما جمع الشاعر في ذكره للممدوح بين اللون الأبيض وصفة الوضوح والإشراق في أسلوب بديع من تكثيف اللون، وكأن صفة الإشراق تساوي اللون الأبيض أو تشترك معه في صفات كثيرة.

كما استخدم أبو تمام اللون الأبيض في الرثاء ذاكرًا صفات المرثي الإيجابية من خلال تلوينها هي الأخرى باللون الأبيض.

استخدم الشاعر اللون الأبيض أيضًا كثيرًا في وصفه للسيف، وهذا أمر طبيعي؛ لأنّ جلّ شعره يقع في باب المدح، ولما كان يركّز في مديحه على صفة الشجاعة التي كانت من أهم الصفات التي يُركَّز عليها عند الممدوح خاصة في زمن كثرت فيه الحروب بصورة كبيرة، ولما كان السيف أداتها الأولى كثرت سيوفه البيضاء اللامعة واصفًا فعلها العظيم في ساحات المعارك مع الأعداء والمارقين .

أما في المجال السلبي، فقد استخدمه الشاعر في حديثه عن الشيب، راسمًا له لوحات حزينة تصوّر ضعف الإنسان وانكساره أمام سطوة الزمن وقهره.

أما اللون الأسود، فهو لون الليل والحزن والموت، استخدمه الشاعر في وصف الزمان بمفرداته المختلفة، والظلم والحرب والجهل والرحلة إلى الممدوح، كما استخدمه قليلا في الغزل، وفي الهجاء واصفًا لؤم الأخلاق والجبن بوصفها من مخرجات السواد.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 181

أشبه ما تكون بالنار في لونها داخل زجاجة من نور، وكلا اللونين يجتمع فيه لون الحمرة المشوبة بصفرة، أو كأنّها ياقوتة حمراء حملتها درّة بيضاء، وهو هنا يجمع بين اللون الأبيض والأحمر اللذين يتميزان بالإشعاع والإشراق، هذه الحيرة عند الشاعر في وصف الخمرة، وجمال لونها جعلته يرسم لوحة لونية جميلة توحي بإعجابه الشديد بها سواء من حيث لونها أو لون أدواتها، أو من حيث قيمتها وفعلها في شاربها. فاختيار اللون هنا وتوظيفه كان عنصرًا أساسياً في بناء الصورة الشعرية التي تؤكد شعرية الألوان(١٢٥).

-٧-

وهكذا، فإنّ استجلاء المحاور الدلالية لجماليات اللون في الخطاب الشعري عند أبي تمام أكدت أنّ اللون لم يكن خاصًا بعالم الرسم فقط، وإنما يمكن أن يكون قاسمًا مشتركًا بين أغلب الفنون، ومنها الشعر حيث هو جزء من نسيج القصيدة، ومن ثَمَّ فإنّ البحث في جمالية اللون عند أبي تمّام هو دراسة للنص الشعري في محاولة لكشف رؤية الشاعر من خلال البحث في عالم اللون، وأدواته من خلال السياق الذي جاء فيه.

لقد تعددت الألوان في شعر أبي تمّام بحيث شكّلت ملمحًا فنيًا بارزًا في بنائه الشعري إذ اتكأ عليها في رسم صوره الشعرية، وتلوينها حسب نفسيته، وحسب فهمه للحياة والفن، وحسب الموقف الذي اقتضته بحيث يعجب القارئ بهذه الإضاءات اللونية المنتشرة في فضاء نصّه الشعري التي استطاع من خلالها تقديم رؤيته للذات وللآخر.

لعلّ من أهم الألوان التي استخدمها أبو تمّام هي الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر. فأما الأبيض فقد استخدمه في مجال حديثه عن المرأة والممدوح ومتعلقاتهما، مركّزًا على معاني الجمال والنقاء والإشراق، وأكثر ما استخدمه مع المرأة مكنيًا به عن صفتها، وكثيرًا ما جمع الشاعر بينه وبين صفات أخرى تتناسب

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 182

المصادر والمراجع

١- أدمان، (أورين أدمان)، الفنون والإنسان، مقدمة موجزة لعلم الجمال، ترجمة: مصطفى حبيب، القاهرة، مكتبة مصر،د.ت.

٢- إسماعيل،(عزالدين إسماعيل)، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار المعارف،القاهرة، ١٩٦٨.

٣- إسماعيل،(عزالدين إسماعيل)، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، دار العودة ، ١٩٧٢.

٤- البطل، (علي البطل)، الصورة الفنيّة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت،١٩٨٠.

٥- الجاحظ ، (عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين،، تحقيق : عبد السلام هارون، المجمع العربي الإسلامي، بيروت،١٩٩٦.

٦- الجرجاني، (عبد القاهر الجرجاني) دلائل الإعجاز ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المنار ، مصر ١٣٦٧ هـ .

٧. دملخي،(إبراهيم دملخي)، الألوان نظرياً وعملياً، مطبعة أوفست الكندي، حلب ، ١٩٨٣.

٨- ذياب،(محمد حافظ ذياب)، جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، مج٥، ع٢، ١٩٨٥.

٩- الرباعي، (عبد القادر الرباعي)، الصورة الفنية في شعر أبي تمّام، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان،١٩٩٩.

١٠- ربابعة، (موسى ربابعة) جماليات اللون عند زهير بن أبي سلمى، نشرت في كتاب : بحوث مهداة للدكتور ناصر الدين الأسد، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧.

١١- الطائي،(أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي)، ديوان أبي تمّام، تحقيق محمد عبده عزّام، دار المعارف،مصر، ١٩٧٦.

١٢- ابن طباطبا،(أبو الحسن محمد بن أحمد)، عيار الشعر، تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦.

١٣- عبد المطلب، (محمد عبد المطلب)، شاعرية الألوان عند امرئ القيس، دار القسطل، للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

١٤- عبد المطلب، (محمد عبد المطلب)، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥.

١٥- عوض (ريتا عوض) ، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الآداب،

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 183

أما اللون الأحمر فقد استخدمه الشاعر في الغزل، وبشكل خاص في وصف المرأة، وفي المديح حيث كان دم الأعداء أو الشهداء محور حديثه في شعر الحرب بحيث بات كثير من قصائده تقطر دماً.

ومن الألوان المهمة في شعر أبي تمّام اللون الأخضر، استخدمه هو الآخر في الحديث عن المعروف والأخلاق والنعم والأماني والشهادة موظفًا دواله اللونية بتواصل وتكاثف كبيرين.

وأخيراً اللون الأصفر استخدمه الشاعر في وصفه للروم لمشابهته للونهم (الأشقر)، وكذلك اللون الذهبي الذي استخدمه في وصف أخلاق ممدوحه وسماحته العالية التي هي كعلو قيمة الذهب، وكذلك في وصفه للخمرة.

لقد جسّدت الألوان قيمًا جمالية مختلفة حسب طبيعتها المدركة من قبل المبدع والمتلقي، وقد نجد اللون الواحد يحمل دلالة إيجابية تارة، وسلبية تارة أخرى حسب السياق الذي استخدم فيه، وحسب رؤية الشاعر لهذا اللون واستخدامه، فهو يغدق عليها من نفسه وخبرته في الحياة بما يجعله يعبّر عن المعنى الذي أراده، والذي يخدم صوره الفنية، ومعانيه الشعرية.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 184

١٤ - ديوانه، مج١،ص: ٩٤،٩٥.

١٥ - ديوانه، مج٢، ص: ٣٠٨، ٣٠٩.

١٦ - المصدر السابق، مج٢ ، ص: ٤٦٤. القيض: قشر البيض إذا انكسر.

١٧ - عوض (ريتا عوض) ، بنية القصيدة الجاهلية، الصورة الشعرية لدى امرئ القيس، دار الآداب، بيروت، ١٩٩١. وانظر كذلك: جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى، ص:١٣٥٨.

١٨ - ديوانه، مج٢،ص: ١٨٤.

١٩ - البطل (علي البطل)، الصورة الفنيّة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الأندلس، بيروت،١٩٨٠، ص:٧٧.

٢٠ - ديوانه، مج١ ،ص: ٢٤١.

٢١ - المصدر السابق، مج٢، ص: ٢٨٧.

٢٢ - نفسه، مج٣،ص: ٢٣٦.

٢٣ - ديوانه، مج١، ص:٣٧٣.

٢٤ - الألوان نظرياً وعملياً، ص: ٨٦.

٢٥ - ديوانه، مج٢، ص:١٣٠.

٢٦ - ديوانه، مج٢، ص:٣٠٤.

٢٧ - جماليات اللون في القصيدة العربية،ص: ٤٦.

٢٨ - ديوانه، مج٣، ص:٩٧.

٢٩ - جماليات اللون عند زهير بن أبي سلمى، ص: ١٣٧٩.

٣٠ - ديوانه، مج٣، ٥٦.

٣١ - ديوانه، مج٢، ص:٢٩.

٣٢ - المصدر السابق، مج١، ص: ١٩٤.

٣٣ -إسماعيل،(عز الدين إسماعيل)، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٢، دار العودة ، ١٩٧٢.ص: ٢٨١.

٣٤ - ديوانه، مج٣، ص: ١٠١.

٣٥ - ديوانه، مج٣، ص: ١٧٢.

٣٦ - المصدر السابق، مج١،ص: ٢٠٥.

٣٧ - الرباعي، (عبد القادر الرباعي) ، الصورة الفنية في شعر أبي تمّام ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠.ص: ٣٠.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 185

بيروت، ١٩٩١.
١٦- المقالح (عبد العزيز المقالح) إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقى القصيدة الجديدة، مجلة المعرفة السورية، العددان، ٣٨٣، و٣٨٤، ١٩٨٥.
١٧- ويلك و وارن، (رينيه ويلك و أوستن وارن) ، نظرية الأدب، ترجمة: محيي الدين صبحي، دمشق، ١٩٧٢.

الحواشي

١ - ذياب،(محمد حافظ ذياب)، جماليات اللون في القصيدة العربية، مجلة فصول، مج٥، ع٢، ١٩٨٥، ص:٤٠.
٢ ـ دملخي،(إبراهيم دملخي)، الألوان نظرياً وعملياً، مطبعة أوفست الكندي، حلب ، ١٩٨٣، ص: ٨٧.
٣ - الألوان نظرياً وعملياً،ص:٨٨.
٤ -الجاحظ، (عمرو بن بحر الجاحظ)، البيان والتبيين،، تحقيق : عبد السلام هارون، المجمع العربي الإسلامي، بيروت،١٩٦٩.ج٣، ص: ١٣٢.
٥- ابن طباطبا، (محمد أحمد بن طباطبا) ، عيار الشعر، شرح وتحقيق : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.من موسى ص:٥،٦.
٦ - الجرجاني (عبد القاهر الجرجاني) دلائل الإعجاز ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا، دار المنار ، مصر ١٣٦٧ هـ ، ص: ٧١.
٧ - الدراسة الأولى للدكتور محمد عبد المطلب بعنوان: شاعرية الألوان عند امرئ القيس، دار القسطل، للنشر والتوزيع، ١٩٨٥. والثانية للدكتور موسى ربابعة بعنوان: جماليات اللون عند زهير ابن أبي سلمى، نشرت في كتاب : بحوث مهداة للدكتور ناصر الدين الأسد، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٧.
٨ - جماليات اللون في القصيدة العربية، ص: ٤٣.
٩ - جماليات اللون في القصيدة العربية، ص: ٤٠.
١٠ - الألوان نظرياً وعملياً، ص:٨٥.
١١ - الطائي،(أبو تمّام حبيب بن أوس الطائي)، ديوان أبي تمّام، تحقيق محمد عبده عزّام، دار المعارف،مصر، ١٩٧٦. مج ٢،ص: ٣٤٩.
١٢ - ديوانه ،مج ٣،ص:٢١٢،٢١٣ .
١٣ - الألوان نظرياً وعملياً، ص:٨٦.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 186

٦٤ – ديوانه، مج٤، ٣٢١،٣٢٢.
٦٥ – المصدر السابق، مج٢، ص: ٢٩٠.
٦٦ – شاعرية الألوان عند امرئ القيس، ص: ٥٥.
٦٧ – ديوانه، مج١، ٣٥٨،٣٥٩.
٦٨ –جماليات اللون في شعر زهير، ص: ١٣٦٥.
٦٩ – ديوانه، مج٢، ص:٣٢٢–٣٢٤.
٧٠ – الألوان نظرياً وعملياً، ص: ٨٤.
٧١ – ديوانه، مج٤، ص:٤١٤.
٧٢ – المصدر السابق ، مج٢، ص:٢٠٨.
٧٣ – ويلك و وارن، (رينيه ويلك و أوستن وارن) ، نظرية الأدب،ترجمة: محيي الدين صبحي، دمشق، ١٩٧٢. ص:٣١٨
٧٤ – ديوانه، مج١، ص:٣٧٥، ٣٧٦.
٧٥ – ديوانه، مج٣،ص: ١٩١.
٧٦ – المصدر السابق، مج٤،ص: ٣٢٩.
٧٧ – نفسه، مج١، ص:٧٨.
٧٨ – نفسه، مج٣، ص:١٥٦.
٧٩ – نفسه، مج٢، ص: ٣٤.
٨٠ – ديوانه، مج٤، ص: ٣٩٧.
٨١ – المصدر السابق، مج٢، ص: ٣٢٩.
٨٢ – نفسه، مج٢، ص: ٢٩٠.
٨٣ – نفسه، مج٢، ص: ٣٠.
٨٤– ديوانه، مج١، ص: ٩٠.
٨٥ – نفسه، مج١، ص:٣٩٧، ٣٩٨.
٨٦ – نفسه، مج٢، ص:١٠٥.
٨٧ – ديوانه، مج١، ص: ٥٣،٥٤.
٨٨ – المصدر السابق، مج٣، ص: ٢٦.
٨٩ – ديوانه، مج١، ص: ٥٠.
٩٠ – المصدر السابق، مج٢، ص: ٤١.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 187

٣٨ – ديوانه، مج٢، ص:٦.
٣٩ – المصدر السابق، مج٣، ص: ٩٩، ١٠٠.
٤٠ – ديوانه، مج٣، ص: ٢١٤.
٤١ – المصدر السابق، مج٤، ص: ٤٣٨.
٤٢ – نفسه، مج٣،ص: ٣٢٧.
٤٣ – جماليات القصيدة العربية، ص: ٤٢.
٤٤ – ديوانه، مج١، ص: ١٨٤.
٤٥ – المصدر السابق، مج١ ،ص: ١٦.
٤٦ – نفسه، مج٣، ص:٥٤.
٤٧ – عبد المطلب، (محمد عبد المطلب) ، قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٥، ص:١٢٥.
٤٨ – ديوانه، مج٣، ص:١٥٣.
٤٩ – ديوانه، مج٣، ص:٢١٨.
٥٠ – جماليات اللون في القصيدة العربية، ص:٤٤.
٥١ – ديوانه، مج٣، ص: ٢٣٩.
٥٢ – المصدر السابق، مج ٣،ص:٢٥٨.
٥٣ – ديوانه، مج٣، ص: ١٤١.
٥٤ – المصدر السابق، مج٣، ص:٢٨.
٥٥ – أدمان، (أورين أدمان)، الفنون والإنسان، مقدمة موجزة لعلم الجمال، ترجمة : مصطفى حبيب، القاهرة، مكتبة مصر،د.ت. ص: ٩٣.
٥٦ – ديوانه، مج١، ص:٧٢.
٥٧– المصدر السابق، مج١، ص:٨٨. وانظر كذلك مج٣، ص: ٢٤٢.
٥٨ – نفسه، مج٢، ص: ١٢.
٥٩ – ديوانه، مج٢، ص: ٣٧٢.
٦٠ – المصدر السابق، مج٣، ص: ١٣٩.
٦١ – نفسه، مج٢، ص: ٤٦٦.
٦٢ – نفسه، مج٤، ص: ٨٣.
٦٣ – نفسه، مج٤، ص: ١٠٠.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 188

١١٧ – نفسه، مج١، ٢٥.
١١٨ – ديوانه، مج٢، ص: ٧٥.
١١٩ – المصدر السابق، مج٢، ص: ٣٩١.
١٢٠ – نفسه، مج١، ص: ٧٣.
١٢١ – ديوانه، مج٤، ص:١٧٦.
١٢٢ – المصدر السابق، مج١، ص:١١٤.
١٢٣ – نفسه، مج١، ص: ٩٨.
١٢٤ – ديوانه، مج ١، ص: ٢٩، ٣٢.
١٢٥ – شاعرية الألوان عند زهير ،ص: ١٣٩٥.

Human Sciences Arabic 14 new 4/17/12 9:51 AM Page 189

٩١ – الألوان نظرياً وعمليا ، ص:٨٢.
٩٢ – ديوانه، مج٣، ص: ٢١٣.
٩٣ – نظرية الأدب. ص: ٢٦٣.
٩٤ – ديوانه، مج٤،ص: ١٩٦.
٩٥ – المصدر السابق، مج٤، ص:٢٠٨.
٩٦ – ديوانه، مج ٤، ص: ٢٨٨،٢٨٩.
٩٧ – المصدر السابق مج٣،ص: ١٨٥.
٩٨ – نفسه، مج٣، ص: ٢٤٨.
٩٩ –الألوان نظرياً وعملياً، ص: ٨٣.
١٠٠ – ديوانه، مج١، ص: ٥٢.
١٠١ –المقالح (عبد العزيز المقالح) إيقاع الأزرق والأحمر في موسيقى القصيدة الجديدة، مجلة المعرفة السورية، العددان، ٣٨٣، و٣٨٤، ١٩٨٥. ص: ٦٣.
١٠٢ – ديوانه، مج٣، ص: ٥٦.
١٠٣ – المصدر السابق، مج٣، ص:٢١٦.
١٠٤ – ديوانه، مج٢، ص:٣٣٠.
١٠٥ –المصدر السابق، مج٣، ص:٢٤٣.
١٠٦ – الألوان نظرياً وعملياً، ص: ٨١.
١٠٧ – ديوانه، مج٢، ص: ٢٤٩.
١٠٨– ديوانه، مج٢، ص: ٣٨٤.
١٠٩ –إسماعيل، (عزالدين إسماعيل)، الأسس الجمالية في النقد العربي ، دار المعارف،القاهرة،١٩٦٨. ص: ١٠٨، ١٠٩.
١١٠ – ديوانه، مج٣، ص: ٩٩.
١١١ – جماليات اللون في القصيدة العربية، ص: ٤٧.
١١٢ – ديوانه، مج١، ص: ١١٥.
١١٣ – ديوانه، مج١، ص: ٤٠٢.
١١٤ – المصدر السابق مج٤، ص: ٨١.
١١٥ – نفسه، مج٤، ص: ١٥٩.
١١٦ – نفسه، مج١، ص: ٣٦١.